لا تكن أعجـز الناس
فـتـترك سلاحك

شــأن الـدعـاء

فـضـلـــــــــــــه

آدابـــــــــــــه

أوقاتـــــــــــه

أحــوالـــــــه

أماكنـــــــه

موانعـــه

كتبـه
عبد الرحمن بن عبد الله بن صالح السحيم

إهـــداء

و

نـــداء

إلـى كـلّ ملهـوف ، وإلـى كـلّ مكـروب ومحـزون ، أوسجين أوطريد ، وإلى كلّ مظلوم كبده حـرّى ، وإلـى كـلّ طريـح الفـراش حـبيس المـرض ، أو مَـنْ لـه غـائب ينتظر قدومه ، وإلى كـلّ امـرأة غـاب عنهـا زوجهـا ، أو اتّسعت هوّة الخلاف بينه وبينها ، وإلىكلّ مَنْ تزوّج ولـم يُوفّق ، وإلى كل عَزَبٍ يبحث عن زوجة ، وإلى كـل فتـاة طالت أيمتها ، وإلى مَنْ رُزِقَ الزوجة وحُرِمَ الولد ، وإلى كـلّ أب أو أم يَهمّهـم صـلاح أولادهـم ، أو يُقلقهـم فسادهم ، وإلى كلّ ذي حاجة لـم تُقـضَ لـه ، وإلـى مَـنْ أُغلِقَتْ بوجهه الأبـواب ، وإلـى ذوي الفقـر والمَسْكَنَة ، وإلى مَنْ رَكِبَتـه الـديون فـتراكمتْ ، وإلـى كـلّ سـائل ، وإلى كل مُبتلى بمـسّ أو سـحر ، وإلـى كـل مـن أصـيب بِشواظٍ من عين حاسد ! وإلى من ضاقت عليـه السُّـبُل وضاقت عليه نفسـه ، وضـاقت عليـه الأرض بمـا رحبـت فأصبح ينظر إلى الـدنيا مـن ثقـب إبـرة ولا يـرى أمـامه سوى إزهاق روحه وقتل نفسه ...

إليكم جميعاً :

ألم يأن لكم جميعاً أن تَمُدّوا أيديكم إلى مالك الملك ، وإلى مَنْ بيده ملكـوت كـلّ شـيء ، وهـو يُجيـر ولا يُجـار عليه ؟

ألم تتذكّروا فضل الدعـاء ؟

ألم تعلموا أنه سلاح المؤمن ؟

فـإلى مـتى الـتّـواني ؟

وإلى متى البخل على أنفسكم ؟

وإلى متى العجـز والكسل ؟

إن ما بينكم وبين السماء السابعة سوى مسافة دعـوة مظلوم .

وما بينكم وبين باب ذي المنن سوى قَـرْعِــهِ وإدامــة ذلك .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي الأعلى ، الذي يعلم السر وأخفى .

الحمد لله الجواد الكريم ، أمـر عباده بالدعـاء ووعدهم بالإجابة فضلا مِنْه ومِنّة وتكرمـا .

أشهد أني ربي حيي كريم ، وأنه عظيم حليم .

وأنه أهل الثناء والمجد ، لا نحصـي ثنـاء عليـه بـل هـو كما أثنى على نفسه .

وأُصلّي وأُسلّم على مـن بعثـه ربـه بيـن يـدي السـاعة بشيرا ونذيرا ، وداعيـا إلـى اللـه بـإذنه وسـراجا منيـرا ، وعلـى آلـه وأصـحابه الأخيـار الأبـرار مـا تعـاقب الليـل والنهار .

أما بعد :

فإن الدعاء عباده بل هو العبادة [1] .

ولمـا كـان كـذلك ورأيـت أن بعـض النـاس يتـدافعون أحياناً على أبواب الناس ويزدحمـون عليهـا ، غـافلين أو متغافلين عن باب ذي الجلال والإكـرام ، منصـرفين عـن باب الجـواد الكريـم سـبحانه ، لمـا رأيـت ذلـك أحبـب أن أكتب في هذا الموضوع أوضّح فيـه مـا كـان خافيـا علـيّ في يوم من الأيام ، فقد عَرَضَـتْ للعبـد الفقيـر حاجـة ، فكان من توفيق الله – جل جلالـه – أن وقفـت علـى مـا رواه الإمام أحمد وغيره من حديث عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى اللـه عليـه وعلى آله وسلم :" مَنْ نَزَلَتْ بـه فاقـة فأنزلهـا بالنـاس لم تُسَـدّ فـاقته ، ومَـنْ نَزَلَـتْ بـه فاقـة فأنزلهـا بـالله ،

---

[1] - كما سيأتي في حديث النعمان بن بشير – رضي الله عنه – (ص 7 ، 8) .

فيوشك الله له برزق عاجل ، أو آجل " [2] فالحمد لله أولاً وآخراً .

وما رأيته من لجوء كثير من الناس إلى الأسباب المادية ، وإلى الخلق - دون قرع باب مسبب الأسباب ، ومن بيده قلوب العباد ، وإليه المعاد - مما دفعني للبحث في هذا الموضوع والكتابة فيه . رجاء أن أنتفع به أولاً ، وينتفع به غيري ثانياً .

وحسبي أن أغرف مما صحّ من دواوين السُّنّة وبطون كتب السلف ، مما وشّيْتُ به هذه الرسالة وحلّيتُ به عرائس القول .

وحسبي أني أنتقي من أطايب القول ، وأنظمه عقداً في سلك الترقيم ! مما قد يخفى على بعض الناس إن لم يكن على كثير ممن يُريد الدعاء .

ولي في صنيعي هذا قدوة وأسوة في أئمة الإسلام ، وإن كنت في جنبهم كبقلٍ في أصول نخل طوال [3] ، لكن التّشبّه بالكرام فلاح .

وبدا لي أن أكتب من خلال النقاط التالية :

1 تعريف الدعاء وأنواعه
2 الأمر بالدعاء والحث عليه .
3 فضل الدعاء .
4 كيف يكون الدعاء مستجاباً ؟
5 أدعية مأثورة ودعوات مستجابة .
6 موانع الدعاء .
7 نماذج من دعوات الصالحين المُستَجابَة .

وسوف التزم في هذه الرسالة بالاقتصار على ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ففي الصحيح غُنية وكفاية ، وسوف أقوم بتخريج الأحاديث تخريجا متوسطا ، وأقدِّم بين يدي التخريج بالحكم على الحديث صحة أو حُسنا ، وأما ما يكون من أحاديث

---

[2] - حديث صحيح : المسند (1/442) والترمذي (4/563) .

[3] - روى الخطيب البغدادي في موضح أوهام الجمع والتفريق (1/13) عن أبي عمرو بن العلاء قال : ما نحن فيمن مضى إلا كَبَقْلٍ في أصول نخل طوال . والبقل : النبت الصغير ، ومنه : (فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا) [البقرة : 61] .

الصحيحين أو أحدهما فسوف أكتفي فيه بمجرد العزو بالجزء والصفحة ورقم الحديث ما أمكن ، إذ أحاديث الصحيح قد جاوزت القنطرة ، وتلقتها الأمة بالقبول ، واعتنيت بتخريج أحاديث الصحيحين فالمرفوع منها أذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة ، إلا أني أغفلت الأبواب في التخريج من صحيح مسلم ؛ لأن التبويب من صنيع الشُّرّاح وليس من صنيع الإمام مسلم – رحمه الله – .

وإذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فإني أكتفي بالعزو إليهما دون غيرهما ، إلا لزيادة فائدة .

كما سيلحظ القارئ الكريم في بعض الصفحات أو من خلال بعض النقاط أني أسرد فيها الآيات والأحاديث دون تعليق أو بيان مُكتفياً بوضع العنوان ، وعذري في ذلك وضوح الفكرة ، مع بيان النصّ بياناً جليّاً لما أردت الاستدلال عليه .

وأتوجّه بجزيل شكري وعرفاني وتقديري لمشايخي وإخواني الذين راجعوا هذه الرسالة ، فأتحفوني بمقترحاتهم ، وأمدّوني بملحوظاتهم ، فالله أسأل أن يُعلي درجتهم ، وأن يرفع ذِكرهم ، وأن يُثقِّل بذلك موازينهم .

وأسأله سبحانه وتعالى " سلوك سبيل الرشاد ، والعِصمة من أحوال أهل الزيغ والعناد ، والدوام على جميع أنواع الخير في ازدياد ، والتوفيق في الأقوال والأفعال للصواب ، والجري على آثار ذوي البصائر والألباب ، وأن يفعل ذلك بوالدينا ومشايخنا وجميع من نُحبّه ويُحبنا ، وسائر المسلمين إنه الواسع الوهاب ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه مَتاب " [4] .

وهذا جُهد المُقلّ ، فما كان فيه من سداد وتوفيق فهو مِنّة من الله وحده ، وما كان فيه من عيب فذاك مني والله ورسوله مِنه بريئان .

وأشكر كل من أهدى إليّ عيوبي .

---

[4] - ما بين العلامتين من مقدمة الإمام النووي لكتابه المجموع شرح المهذب (1/29)

أولاً : تعريف الدعـاء

الدعاء هو النداء والطلب
ومنه قوله سبحانه : (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّــذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء) [البقرة : 171]
قال في المصباح المنيـر : دعـوتُ اللـه أدعـوه دعـاء . ابتهلت إليه بالسؤال ، ورغبـت فيمـا عنـده مـن الخيـر ، ودعوت زيداً : ناديته ، وطلبت إقباله [5] .
وقال الزمخشري : دعـو : دعوت فلاناً وبِفلان : ناديته وصِحت به [6]
وقال الحافظ ابن حجـر – رحمـه اللـه – : الدعــاء هـو إظهـار غـاية التذلل والافتقار الى الله والاستكانة له [7] .

ويُفرّق العلماء بين الدعاء والأمر والالتماس .
فالأمر : طلب من الأعلى إلى الأدنى .
والدعاء : - عكسه – طلب من الأدنى إلى الأعلى .
والالتماس : طلب بين مُتساويين [8] .

وإنما أوردت الفروق هنـا لأن مـن النـاس مـن يُشـكل عليه قول الداعي – مثلاً – : اللهم أدخلني برحمتك الـتي وسـعت كـل شـيء . فيظـن أن هـذا مـن جنـس الأمـر ، وليس كذلك .

أنواعـه :

باعتبار هيئة الداعي :
أن يرفـع يـديه حـذو منكـبيه ، أو يمــدّ يـديه مَــدّاً ، أو يُشير بأصبع واحدة .

---

[5] - (2/264) .
[6] - أساس البلاغة (ص 232) .
[7] - سيأتي بتمامه بمشيئة الله . انظر – غير مأمور – (ص 12) من هذا الكتاب .
[8] - مما قيّدته مِنْ فوائد دروس شيخنا الفاضل الشيخ العلامة عبد الكريم الخضير – حفظه الله – عند قول أبي قتادة – رضي الله عنه – للنبي صلى الله عليه وسلم – في صاحب الدَّين – : صَـلِّ عليه . قال : فهذا التماس من أبي قتادة – رضي الله عنه – .

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : المسألة أن ترفع يديك حذو منكبيك أو نحوهما ، والاستغفار أن تشير بأصبع واحدة ، والابتهال أن تمدّ يديك جميعا [9] .

وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا خَطَب يُشير بأصبعه المسبِّحة .

روى مسلم عن عمارة بن رؤيبة – رضي الله عنه – أنه رأى بشر بن مروان على المنبر رافعاً يديه فقال : قبّح الله هاتين اليدين ! لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزيد على أن يقول بيده هكذا ، وأشار بإصبعه المسبحة [10] .

باعتبار لفظ الدعاء :

توحيد وثناء ، ومسألة عفو ورحمة ، وسؤال عافية ونحوها .

قال ابن منظور – رحمه الله – :

قال الله تعالى : (وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) قال أبو إسحاق : يقول : ادعوا من استدعيتم طاعته ورجوتم معونته في الإتيان بسورة مثله ، وقال الفراء : وادعوا شهداءكم من دون الله يقول آلهتكم . يقول استغيثوا بهم ، وهو كقولك للرجل : إذا لقيت العدو خاليا فادع المسلمين ، ومعناه استغث بالمسلمين ، فالدعاء ههنا بمعنى الاستغاثة ، وقد يكون الدعاء عبادة :(إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ) وقوله بعد ذلك : (فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ) يقول ادعوهم في النوازل التي تنزل بكم إن كانوا آلهة كما تقولون يجيبوا دعاءكم ، فإن دعوتموهم فلم يجيبوكم فأنتم كاذبون أنهم آلهة ، وقال أبو إسحاق في قوله عز وجل : (أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) معنى الدعاء على ثلاثة أوجه :

فَضَرْبٌ منها توحيده والثناء عليه كقولك : يا الله لا إله إلا أنت ، وكقولك : ربنا لك الحمد . إذا قلته فقد دعوته بقولك ربنا ثم أتيت بالثناء والتوحيد ومثله قوله عز

---

[9] - حديث صحيح : رواه أبو داود مرفوعا وموقوفاً (2/79) ح 1489 – 1491 ، ورواه الحافظ الضياء في المختارة موقوفاً . وهو في صحيح الجامع برقم 6694

[10] - (2/595) ح 874

وجـل :(وَقَـالَ رَبُّكُـمُ ادْعُـونِي أَسْـتَجِبْ لَكُـمْ إِنَّ الَّـذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِيـنَ) فهـذا ضرب من الدعاء .

والضرب الثاني مسألة الله العفـو والرحمـة ومـا يقـرب منه كقولك : اللهم اغفر لنا .

والضرب الثالث مسألة الحظ من الـدنيا كقولـك : اللهـم ارزقني مالا وولدا .

وإنما سمي هذا جميعه دعـاء لأن الإنسـان يصـدر فـي هذه الأشياء بقوله يا اللـه ، يـا رب ، يـا رحمـن ، فلـذلك سمي دعاء [11] . اهـ .

ويُقسّم بعض العلماء الدعاء إلى :

1 - دعاء عبادة .

2 – دعاء مسألة .

فالأول مثاله الصوم والصـلاة وسـائر العبـادات ، فـإذا صلى أو صام فقد دعا ربه بلسان حاله أن يغفر له ، وأن يُجيره من عذابه ، وأن يُعطيه من نوالِه .

ومَنْ صَرَف شيئا من هذا النوع لغير اللـه فقـد أشـرك بالله ، وشِركه يُعدّ شركاً أكبر .

والثاني منه ما هو عبادة ، وهو موضوع هـذا الكتـاب ، وهذا لا يجوز صرفه إلا لله ، فَمَن صَرَفه لغيـر اللـه فقـد أشرك .

ومنه ما هو ليس من جنس العبادة ، ومنه قوله – عليه الصلاة والسلام – : مَنْ دعـاكـم فأجيبوه [12] . وهـذا ممـا يقدر عليه المخلوق ، وفيما يقدر عليه [13] .

والدعاءُ إنما يكون رغبةً ورهبةً خوفاً ورجاءً .

رغبة بما عند الله – جـل جلالـه – مـن الثـواب العاجـل والنعيم المقيم ، ورهبة ممـا أعـدّه لأعـدائِه مـن العـذاب المقيم والنَّكال والجحيم .

---

[11] - لسان العرب (14 / 257) .

[12] - رواه البخاري ح

[13] - يُنظر لمزيد من البيان : القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ العثيمين (1 / 120 ، 121)

وقـد أثنـى اللـه علـى أنبيـائه فقـال : (إِنَّهُـمْ كَـانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًـا وَكَـانُوا لَنَـا خَاشِعِينَ) [الأنبياء : 90] .

وقـال – عـز وجـل – آمِــراً عبـاده المـؤمنين بـذلك : (ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (55) وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْـلاَحِهَا وَادْعُـوهُ خَوْفًـا وَطَمَعًـا إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) [الأعـراف : 55 ، 56]

ثانياً : الأمر بالدعاء والحث عليه

أمر الله سبحانه بالدعاء ووعد بالإجابة ، فقال جلّ شأنه : (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [غافر : 60]

فسمى اللهُ عز وجل الدعاء : عبادة ، كما في الآية السابقة ، وكذلك سمّاه رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما في حديث النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إن الدعاء هو العبادة » ثم قرأ : (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [غافر : 60] .[14]

وقال ابن منظور – رحمه الله – :

في أسماء الله : المجيب ، وهو الذي يُقابل الدعاء والسؤال بالعطاء والقبول سبحانه وتعالى .[16]

وأمَر الله – عز وجل – بالدعاء والإخلاص فيه ، فقال سبحانه : (قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) [الأعراف :29] إذ الدعاء حال الإخلاص أبلغُ في حصول المقصود ، وأقرب إلى انكسار القلب ، وصدقِ اللجؤ إلى الله سبحانه وتعالى . لذا كانت دعوة المضطر مستجابَة : (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) [النمل :62] .

وفي المسند وغيره عن أبي هريرة قال : قال رسول الله : دعوة

---

[14] - حديث صحيح : رواه أحمد (4/267) وأبو داود (2/76) والترمذي (5/211) وابن ماجه (4/262) والنسائي في الكبرى (6/450) وابن أبي شيبة (6/21) والحاكم (1/667) وقال :صحيح الإسناد ، وابن حبان (3/172) والبخاري في الأدب المفرد (ص 265 صحيح الأدب) وصححه الألباني في الموضع السابق من صحيح الأدب المفرد .

أما الحديث المشهور : " الدعاء مخ العبادة " فهو حديث ضعيفٌ لا تقوم به حجة ، ومدار إسناده على (ابن لهيعة) وقد اختلط بعد احتراق كتبه ، وتُنظر ترجمته في تهذيب التهذيب لابن حجر (3/227-230) .

[15] - مجموع الفتاوى (22/475) .

[16] - لسان العرب (1/283) .

المظلـوم مسـتجابة ، وإن كـان فـاجرا ، ففجـوره علـى نفسه [17] .

ألم تـر حـال المشـركين فـي الجاهليـة الأولـى كيـف يتخلّون عن آلهتهم ويَدْعُون الله مخلصين له الدين وذلك إذا ركبوا في الفلك ، واضطربت بـهم الأمواج ، كما فـي قوله تعالى : (حَتَّـى إِذَا كُنتُـمْ فِـي الْفُلْـكِ وَجَرَيْـنَ بِهِـم بِرِيـحٍ طَيِّبَـةٍ وَفَرِحُـواْ بِهَـا جَاءتْهَـا رِيـحٌ عَاصِـفٌ وَجَـاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُـمْ أُحِيـطَ بِهِـمْ دَعَـوُاْ اللّـهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) [يونس : 22] .

والمشركون ما كانوا يفزعون لآلهتهم عنـد الشـدائد ، بـل كـانوا يلجئـون إلـى اللـه ، إذ النفـوس جُبلـت علـى الالتجاء لله وحده عند حصول المكروه ؛ إلا ما يكون مـن بعض مشركي زماننا ! فإن ملجأهم ومفزعهـم (السـيّد) أو (القطب) ، فأبو جهل أفقهُ من هؤلاء !!

تأمّل قول اللـه تبـارك وتعـالى : (وَإِذَا غَشِـيَهُم مَّـوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَـهُ الـدِّينَ) [لقمـان : 32] .

قال ابن القيم – رحمه الله – : التوحيـد مَفْـزَعُ أعـدائه وأوليـائه ؛ فأمـا أعـداؤه فينجيهـم مـن كُـرب الـدنيا وشدائدها :(فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) [العنكبـوت : 65] ، وأما أوليـاؤه فينجيهـم بـه مـن كربـات الـدنيا والآخرة وشدائدها ، ولذلك فزع إليه يـونس فنجّـاه اللـه من تلك الظلمات ، وفزع إليه أتباع الرسل فَنَجَـوا بِـهِ [18] مما عُذِّبَ به المشركون في الـدنيا ، ومـا أُعِـدّ لهـم فـي الآخـرة ، ولمـا فـزع إليـه فرعـون عنـد معاينـة الهلاك وإدراك الغرق له لم ينفعـه ؛ لأن الإيمان عند المعاينـة لا

---

[17] - (2/367) ورواه ابن أبي شيبة (6/48) وقال المنذري في الترغيب (3/130) : رواه أحمـد بإسـناد حسـن . وقـال الهيثمـي فـي المجمـع (10/151) : رواه أحمد والبزار بنحوه وإسـناده حسـن . وقـال الحـافظ فـي الفتح (3/422) : وإسناده حسن .
قال عبد الرحمن – عفا الله عنه – : في إسناده أبو معشر ، وهو نجيح بن عبد الرحمن السندي ، وهو ضعيف . =
= وله شاهد من حديث أنس مرفوعاً : اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً ؛ فإنه ليس دونـها حجاب . رواه أحمد (3/153) وابن معين في تاريخه (4/458) وفي إسناده عبد الرحمن بن عيسى أبو عبد الله الأسدي ، وهو مجهول . والحديث أورده الألباني في صحيح الجامع (برقم 2682) .

[18] - أي بالتوحيد .

يُقبل . هذه سنة الله في عباده . فما دُفِعَتْ شدائد الدنيا بمثل التوحيد [19] .

ولما ذُكِرَ الصيامَ وأحكامه في التنزيل العزيز ناسب المقام أن يُذكر بعده شأن الدعاء ، إذ الصيام يقترن بالقيام فهما صنوان ، والقيام يتضمن الدعاء ، قال ربنا سبحانه : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة : 186] .

وجاء في سبب نزول هذه الآية أن الصحابة رضي الله عنهم قالوا : يا رسول الله أقريب ربنا فنناجيه ، أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله هذه الآية [20] .

وتمعّن في هذه الآية حيث لم تُجعل الإجابة فيها للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقد ورد قبلها آيات وبعدها آيات سُئل فيها الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم أسئلة جاءته الإجابة مُصدّرة ــ (قل) : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) [البقرة :189] (سْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ) الآية [البقرة : 215] (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ) الآية [البقرة : 219] (ـ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ) الآية [البقرة : 220]

وغيرها من الآيات ، أما هذه الآية فصُدِّرت بـ (فَإِنِّي قَرِيبٌ) [21] .

وما ذلك إلا لأن الدعاءَ عبادةٌ محضة لا يجوز صرفها لغير الله ، وحتى لا يُتوهّم أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم واسطة بين الخلق والخالق في ذات

---

[19] - الفوائد (ص 79) .

[20] - يُنظر لذلك جامع البيان لابن جرير الطبري (2/158) .

[21] - وبعد كتابة هذه الأسطر رأيت كلاماً لشيخ الإسلام ابن تيمية حول هذا المعنى ، فحمدتُ الله على ما أولى من مِنن .

قال رحمه الله : وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم إذا سألوا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الأحكام أمِرَ رسول الله صلى الله عليه على وسلم بإجابتهم ...فلما سألوه عنه سبحانه وتعالى قال : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) فلم يقل سبحانه (فقل) بل قال تعالى:(فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) .مجموع الفتاوى (1/336)

العبادة ، فجاء الجواب بالتأكيد (فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الـدَّاعِ إِذَا دَعَـانِ فَلْيَسْـتَجِيبُواْ لِـي وَلْيُؤْمِنُـواْ بِـي لَعَلَّهُـمْ يَرْشُدُونَ) ولم يقل سبحانه وتعالى : فقل ، أي يا محمد . والله أعلم .

ثالثاً : فضل الدعاء

الدعاء فضله عظيم ، وشأنه جسيم

فبالإضافة إلى أنه عبادة مأمور بها ، مُثاب فاعلهـا إلا أنه :

1 - يُستدفعُ بِـهِ البلاء ، ويُـردُّ بِـهِ القضاء

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آلـه وسـلم : لاَ يَرُدّ القَضَاءَ إِلاّ الدّعَاءُ ، وَلاَ يَزِيدُ في العُمُرِ إِلاّ البِرّ [22] .

وقال رسول الله صـلى اللـه عليـه وعلـى آلـه وسـلم الدعاء ينفع مما نـزل ومما لم ينـزل ، فعليكم عباد اللـه بالدعاء [23] .

2 - كَـرامـة الدعاء على الله دِلالة على فضله

قال – عليه الصلاة والسلام – : لَيْسَ شَيْءٌ أَكْـرَمَ على اللّهِ سُبْحَانَهُ مِـنَ الدّعَاءِ [24] .

3 - وبالدعاء تستمطر الرحمات ، وتُستدفع النقمات

ولذا كان الناس إذا قحطوا خرجوا للمصـلى ، وسـألوا الله جل وعلا ، وتضرعوا إليه فيسألونه بصدق وإخـلاص وحسن لجـاءة إليـه ، فيسـتجيبَ دعـائهم ، (وَهُـوَ الَّـذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُـوَ الْـوَلِيُّ الْحَمِيدُ) [الشورى : 28] .

وفي الصـحيحين مـن حـديث أنـسِ بـنِ مالـكٍ أَنّ رجُلاً دخـلَ المسـجدَ يـومَ جُمعـةٍ مـن بـابٍ كـان نحـوَ بـابِ دارِ القضاءِ - ورسولُ اللهِ صلى الله عليه وعلـى آلـه وسـلم قائمٌ يخطـبُ - فاسـتقبلَ رسـولَ اللـهِ صـلى اللـه عليـه وعلى آله وسلم قائماً ، ثم قال : يا رسولَ اللهِ . هلَكَـتِ الأمـوالُ ، وانقطَعَـتِ السـبلُ ، فـادعُ اللـهُ يُغيثُنـا فرفـعَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وعلـى آلـه وسـلم يـدَيهِ ، ثـم

---

[22] - رواه أحمد (5/280) وابن ماجه (1/35 ، 4/369) والحاكم (1/670) وصححه ، وابن حبـان (3/153إحسـان) كلهـم مـن حـديث ثوبـان . وحسـنه العراقي كما في مصباح الزجاجـة وهـو كمـا قـال . ولـه شـاهد مـن حـديث سلمان رواه الترمذي (4/448) .

[23] - رواه من حديث ابـن عمـر : الترمـذي (5/552) والحـاكم (1/670) وصححه ، وقال الحافظ في الفتح (11/95) : وفي سنده لين وقـد صـححه - مع ذلك - الحاكم . وله شاهد من حديث معاذ : أخرجه أحمـد (5/234) . وله شاهد ثان من حديث عائشة : رواه الحاكم (1/669) والطـبراني فـي الأوسط (3/66) .

[24] - رواه أحمد في المسند (2/362) والبخاري فـي الأدب المفـرد (265 صحيح الأدب) والترمـذي (5/425) وابـن مـاجه (4/262) والحـاكم (1/666) وقال : صحيح الإسناد ، وابن حبان (3/151 إحسان) . وهو حديث حسن .

قال : اللّهمّ أغثْنا . اللّهمّ أغثْنا اللّهمّ أغثنا . قال أَنــسٌ : ولا واللهِ ما نرَى في السماءِ من سحابٍ ولا قَزَعـةً ، وما بَينَنا وبينَ سَـلعٍ مـن بيـتٍ ولا دارٍ . قـال : فطلَعَـتْ مـن ورائـهِ سـحابةٌ مثـلُ التّـرسِ ، فلَمّـا توسّـطَتِ السـماءِ انتَشَرتْ ثم أمطرَتْ ، فلا واللهِ ما رأينا الشمسَ سبتاً [25] ، ثمّ دَخلَ رجـلٌ مـن ذلـكَ البـابِ فـي الجُمعـةِ المُقبلـة – ورسـولُ اللـهِ صـلى اللـه عليـه وعلـى آلـه وسـلم قـائمٌ يَخطب – فاستقبلَهُ قائماً فقـال :يـا رسـولَ اللـهِ هَلكَـتِ الأموالُ ، وانقطَعتِ السـبُلُ ، فـادعُ اللـهَ يُمسِـكها عنـا ! قال فرفعَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وعلـى آلـه وسـلم يديهِ ثم قال : اللّهمّ حَوالَينا ولا علينا . اللّهمّ عَلَى الآكامِ والظــرابِ وبُطــونِ الأوديــةِ ومَنــابتِ الشــجر . قــال : فأقلعَتْ ، وَخرجْنا نمشي في الشمسِ [26] .

3 - وبالدعاء يُستخرج مكنون عبودية الدعاء والتضرع لله سبحانه والذلّ بين يديه

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وعلى آله وسلم : من لم يَدْعُ اللهَ غضب اللهُ عليه [27] .

ومـا ذلـك إلا لأن العبـد مفتقـر إلـى اللـه فـي جميـع أحوالـه ، فمن ترك الدعـاء فقد استغنى عن الله بلسـان حاله ، وهذا موجبٌ لغضب الله عليه .

اللهُ يغضـبُ إن تركـتَ سـؤالَه وبُنـيّ آدمَ حيـنَ يُسـألُ يغضبُ

ولذا كانت عائشة – رضـي اللـه عنهـا – تقـول : سـلوا الله التيسير في كل شيء ، حتى الشسـع فـي النعـل ، فإنه إن لم يُيسره الله لم يتيسر [28] .

---

[25] - أي : أسبوعاً كاملاً . وفي رواية للبخاري (ستّـاً) . وانظر – غير مأمور – فتح الباري (2/585) .

[26] - رواه البخاري في كتاب الاستسقاء . بـاب الاستسـقاء فـي المسـجد الجامع ، وفي باب الاستسقاء فـي خطبـة الجمعـة غيـر مسـتقبل القبلـة (2/16) ومسلم في كتاب الاستسقاء (2/612) .

[27] - رواه (2/443) وفي الترمـذي (5/456) وفـي الأدب المفـرد (ص 246 صحيح الأدب) وعند ابن ماجه (4/261) . وهو حديث حسن

[28] - رواه أبو يعلى في المسند (8/44) وابن أبي عاصم فـي الزهـد (ص 203) والبيهقي في شعب الإيمان (2/42) واللفظ لـه . وأورده الألبـاني فـي الضـعيفة (3/540 ح 1363) وعـزاه لأبـي يعلـى وقـال : وهـذا سـند موقوف جيد ، رجاله رجال مسلم ..
والشسع هو سير النعل .

قال بكر بن عبد الله المزنى : ينزل بالعبد الأمر فيدعو الله فيُصرف عنه ، فيأتيه الشيطان فيضعف شكره يقول : إن الأمر كان أيسر مما تذهب إليه [29] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : قال بعض السلف : يا ابن آدم . لقد بُورِك لك في حاجة أكْثَرْتَ فيها مِنْ قَرْعِ باب سيِّدك .
وقال بعض الشيوخ : إنه ليكون لي إلى الله حاجة فأدعوه ، فيفْتَح لي من لذيذ معرفته وحلاوة مناجاته ما لا أحبّ معه أن يُعجّل قضاء حاجتي خشية أن تنصرف نفسي عن ذلك ؛ لأن النفس لا تريد إلا حظّها فإذا قُضْيَ انْصَرَفَتْ [30] .
قال ابن القيم – رحمه الله – :
فإذا كان كلُّ خيرٍ أصله التوفيق ، وهو بيد الله لا بِيَدِ العبد ، فمفتاحه الدعاء والافتقار وصِدقِ اللجأ والرغبة والرهبة إليه ، فمتى أعطى العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له ... وما أتي من أتي ، إلا من قِبل إضاعةِ الشكر وإهمالِ الافتقار والدعاء ، ولا ظَفِرَ من ظَفِر – بمشيئة الله وعونه – إلا بقيامه بالشكر وصدق الافتقار والدعاء [31] .

وقال أيضا :
ليس العجب من مملوك يتذلل لله ويتعبّد له ، ولا يمل من خدمته مع حاجته وفقره إليه ، إنما العجب من مالك يتحبّب إلى مملوكه بصنوف إنعامه ويتودد إليه بأنواع إحسانه ، مع غناه عنه
كفى بك عزّاً أنك له عبد وكفى بك فخراً أنه لك رب [32] .

وقال ابن رجب – رحمه الله – : واعلم أن سؤالَ اللهِ تعالى دون خلقه هو المتعيّن ؛ لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار ، وفيه الاعتراف بقدرة المسؤول على دفع هذا الضرر ،

---

[29] - نقله عنه ابن القيم – رحمه الله – في عِدة الصابرين (ص 105) .
[30] - مجموع الفتاوى (10/333) .
[31] - الفوائد (ص 130) .
[32] - الفوائد (ص 63) .

ونيـلِ المطلـوب ، وجلــبِ المنـافع ، ودرء المضـارّ ، ولا يصلح الذل والافتقار إلا الله وحده ، لأنه حقيقة العبـادة [33] .

وقال الحافظ ابن حجـر – رحمـه اللـه – : الدعــاء هـو إظهـار غـاية التذلل والافتقار الى الله والاسـتكانة لـه ، ومـا شُــرِعَتْ العبــادات الا للخضــوع للبــاري وإظهــار الافتقار اليه [34] .

4 - (ومما يدل على فضله) أن الله يُحب الدعاء ، ويُحب الملحِّين فيه

كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يـدعو الله كثيرا ، ويُلحّ في الدعاء .

روى ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النـبي صـلى الله عليه وعلى آله وسلم قال - وهو في قُبَّــةٍ لــه يـوم بدر - : أنشدكَ عهدك ووعدك . اللهم إن شـئت لـم تعبـد بعد اليوم أبداً . فأخـذ أبـو بكـر بيـده وقـال : حسـبك يـا رسول الله فقد ألححت على ربك [35] .

وعن أنس بـن مالـك – رضـي اللـه عنـه – قـال : قـال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ألِظُّوا بـيا ذا الجـلال والإكرام [36] .

قال ابن الأثير : معنى ألِظوا : إلزموه ، واثبتوا عليه ، وأكـثروا مـن قـوله والتلفـظ بـه ... وفـي حـديث رَجْـم اليهودي ، فلمَّا رآه النبيُّ ألَـظَّ به النِّشْدَة . أي ألَحَّ في سُؤاله وألزمَه إيَّاه [37] .

وقـد أثنـى اللـه علـى خليلـه إبراهيـم بـأنه أوّاه (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأوَّاهٌ حَلِيمٌ) [التوبة:114] .

قال ابـن مسـعود – رضـي اللـه عنـه – : الأواه : الـذي يُكثر الدعاء [38] .

---

[33] - جامع العلوم والحكم (1/481) .

[34] - فتح الباري (11/98) .

[35] - رواه البخاري . كتاب الجهاد والسير . باب ما قيل في درع النبي صـلى الله عليه وعلى آله وسلم والقميص في الحـرب ... (3/230) وفـي مواضـع أخَـر .

[36] - سيأتي تخريجـه بعون الله وتوفيقه .

[37] - النـهاية في غريب الحديث (4/252) .

[38] - رواه عنه ابن أبي شيبة (6/329) وابن جرير في التفسير (11/47 – 51) ، وروى غيره من الأقوال ، ثم قال : وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله عبـد اللـه بـن مسـعود الـذي رواه عنـه زِرّ : أنـه

قال ابن رجب : والله سبحانه يحبُّ أن يُسأل ، ويُرغبُ إليه في الحوائج ، ويُلحُّ في سؤاله ودعائه ، ويغضب على من لا يسأله ، ويستدعي من عباده سؤالَه ، وهو قادر على إعطاء خلقه كلهم سؤلهم من غير أن ينقص من ملكه شيء ، والمخلوق بخلاف ذلك ، يكره أن يسأل ويحب أن لا يسأل ؛ لعجزه وفقره وحاجته ، ولهذا قال وهب بن منبه - لرجل كان يأتي الملوك - : ويحك تأتي من يغلق عنك بابَه ، ويظهر لك فَقْرَه ، ويواري عنك غناه ، وتدع من يفتح لك بابه نصف الليل ونصف النهار ، ويظهر لك غناه ، ويقول ادعني أستجب لك . وقال طاووس لعطاء : إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق بابه دونك ، ويجعل دونها حجّابَه ، وعليك بمن بابُه مفتوح إلى يوم القيامة ، أمرك أن تسألَهُ ، ووعدك أن يجيبَك [39] .

5 - بالدعاء تُفرّجُ الشّدّائد ، وتُنفّسُ الكُرب

فكم سمعنا عمن أُغلقت في وجهه الأبواب ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، ثم طَرَقَ باب مسبب الأسباب ، وألحّ على الله في الدعاء ، ورفع إليه الشكوى ، وبكى فَفُتِحَتْ له الأبواب ، وانفرج ما به من شِدّة وضيق .

أَلم تسمع قصة أولئك الثلاثة الذين دخلوا غاراً فأغْلَقَتْ عليهم الباب صخرةٌ عظيمة ، فما كان منهم إلا أن دعوا الله بصالح أعمالِهم وأخلصِها ، فانفرجت الصخرةُ وخرجوا يمشون [40]

6 - وبالدعاء يُستنـزلُ النصر من الله العلي القدير

فالمؤيد بالوحي – عليه الصلاة والسلام – كان يجتهد في استنـزال النصر بالدعاء .

فعن عَبْد اللّهِ بْن عَبّاسٍ قال : حَدّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ قال : لَمّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلَىَ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلاَثُمِائةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً فَاسْتَقْبَلَ نَبِيّ اللّهِ

الدَّعَّاء . وقارن بما في صحيح البخاري (5/212) .

[39] - جامع العلوم والحكم (1/481) .

[40] - انظر - غير مأمور - قصة الثلاثة في صحيح البخاري . كتاب الإجارة . باب من استأجر أجيراً فترك أجره ... (2/51) ومسلم . كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (4/2099) من حديث ابن عمر – رضي الله عنه – .

صلى الله عليه وعلى آله وسلم الْقِبْلَةَ ثُمّ مَدّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبّهِ : اللّهُمّ أَنْجِزْ لِـي مَـا وَعَـدْتَنِي . اللّهُـمّ آتِ مَـا وَعَدْتَنِي . اللّهُمّ إنْ تَهْلِكْ هَـذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَـدْ فِـي الأَرْضِ ، فَمَـا زَالَ يَهْتِـفُ بِرَبّـهِ مَـادّاً يَـدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ، حَتّىَ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَـنْ مَنْكِبَيْـهِ ، فَأَتَـاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَ هُ فَأَلْقَاهُ عَلَىَ مَنْكِبَيْهِ ، ثُمّ الْتَزَمَهُ مِــنْ وَرَائِهِ وَقَالَ : يَا نَبِيّ اللّهِ كَـذَاكَ مُنَاشَدَتَكَ رَبّـكَ [41] فَـإنّهُ سَـيُنْجِزُ لَـكَ مَـا وَعَـدَكَ ، فَأَنْــزَلَ اللّـهُ عَـزّ وَجَـلّ : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْـتَجَابَ لَكُـمْ أَنِّـي مُمِـدُّكُم بِـأَلْفٍ مِّـنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ) [الأنفال :9] [42]

فاستجاب الله دعاء نَبِيِّـه صـلى اللـه عليـه وعلـى آلـه وسلم ونصره على أعدائه .

وسيأتي مزيد بيان لهذا الحديث في أكثر من موضـع ، وسيأتي تخريـجه .

وذكر الله في صفــات عباد الرحمــن أنــهم يدعــونه بقولهم : (رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَـا قُـرَّةَ أَعْيُـنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) [الفرقان : 74] .

وختم السـورة بقوله : (قُـلْ مَـا يَعْبَـأُ بِكُـمْ رَبِّـي لَـوْلا دُعَاؤُكُمْ) [الفرقان : 77]

يعني : أيّ عبء يعبأ بكم ، وأيّ مبالاة يُبالي ربي بكــم لولا دعاؤكم وعبادتُكم [43] .

7 - والدعاء سلاح المؤمن ، به يُقاتِل ، وبه يُدافع

ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آلـه وسـلم يجتهد في الدعــاء قبـل الحــرب ، كمـا فـي حـديث ابـن عباس ، المتقدم آنفاً .

وكان المسلمون إذا أرادوا القتال يوم الجمعـة أخّـروا بدء القتال حتى تـزول الشمس ، ويصعد الأئمة المنابر ، ويدعون للمجاهدين بالنصر .

قال الإمام البخاري : باب كان النبي صـلى اللـه عليـه وعلى آله وسلم إذا لم يقاتـل أول النهـار أخّــرَ القتـال

---

[41] - وفي رواية لمسلم (كفاك مناشدتك ربك) ، وهي كذلك في المسند (1/32) وغيره ، ويُنظر شـرح النووي على مسلم (12/434) .

[42] - رواه البخاري . كتاب المغازي .باب قـول اللـه تعـالى : (إِذْ تَسْـتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّـنَ الْمَلآئِكَـةِ مُرْدِفِيـنَ) ... الآيـات (5/4). ومسلم . كتاب الجهاد والسير (3/1384)

[43] - ويُنظر لذلك تفسـير القرطـبي (13/84) ، وذكـر ابـن جريـر (19/55) أقوالاً أخرى ، فليُراجع .

حتى تزول الشمس [44] ثم أورد تحته حديث عبد الله بن أبي أوفى – رضي الله عنه –

قال عبد الله بن أبي أوفي – رضي الله عنهما – : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أيامه التي لقي فيها انتظر حتى مالت الشمس ، ثم قام في الناس خطيبا قال : أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ، ثم قال : اللهم مُنزِل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم .

وعن النعمان بن مقرن – رضي الله عنه – قال : غزوت مع النبي صلى الله عليه على وسلم ، فكان إذا طلع الفجر أمسك حتى تطلع الشمس ، فإذا طلعت قاتل ، فإذا انتصف النهار امسك حتى تزول الشمس ، فإذا زالت الشمس قاتل حتى العصر ، ثم أمسك حتى يُصلي العصر ، ثم يُقاتل . قال : وكان يُقال عند ذلك تهيج رياح النصر ، ويدعو المؤمنون لجيوشهم في صلاتهم [45] .

---

[44] - صحيح البخاري . كتاب الجهاد والسير (4/9) ، وحديث عبد الله بن أبي أوفى الآتي في الموضع نفسه .

[45] - رواه – مختَصَراً – أحمد (5/444) وأبو داود (3/49) والنسائي في الكبرى (5/191) دون الجملة الأخيرة منه ، وهو بتمامه في جامع الترمذي (4/ 159) وقال الترمذي : وقد روي هذا الحديث عن النعمان بن مقرن بإسناد أوصل من هذا ، وقتادة لم يدرك النعمان بن مقرن ، ومات النعمان بن مقرن في خلافة عمر .

قال عبد الرحمن – عفا الله عنه – : قد رواه من تقدّم ذكرهم من غير طريق قتادة عدا الترمذي ، فإنهم رووه عن معقل بن يسار أن النعمان بن مقرن قال . فَذَكَرَه .

تنبيه : وقع في بلوغ المرام (ح 1296) عن معقل بن النعمان بن مقرن – رضي الله عنه – .

وتعقبه الصنعاني في السبل (7/259) بقوله : فما أظن لفظ معقل إلا سبق قلم ، والشارح وقع له أنه قال : هو معقل بن النعمان بن مقرن المزني ، ولا يخفى أن النعمان هو ابن مقرن ، فإذا كان له أخ فهو معقل بن مقرن لا ابن النعمان . قال ابن الأثير : إن النعمان هاجر ومعه سبعة إخوة له . يُريد أنهم هاجروا كلهم معه ، فراجعت التقريب للمصنف ، فلم أجد فيه صحابيا يُقال له : =

= معقل بن النعمان ، ولا ابن مقرن بل فيه النعمان بن مقرن ، فتعيّن أن لفظ معقل في نسخ بلوغ المرام سبق قلم ، وهو ثابت فيما رأيناه من نسخه . انتهى كلامه .

قلت : السبب في ذلك أنه من رواية معقل بن يسار عن النعمان بن مقرن . فلعله خطأ من النُّسّاخ .

وفي رواية قال : شهدت القتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان إذا لم يُقاتل في أول النهار انتظر حتى تهب الأرواح ، وتحضر الصلوات [46]

8 - والدعاء سهامُ الليل ، وهي سهامٌ لا تُخطئ

قال الإمام الشافعي – رحمه الله – :

أتهزأ بالدعاء وتَزْدَريه وما تدري بما صنع الدعاء

سهامُ الليل لا تُخطئ ولكن لها أمدٌ وللأمدِ انقضاء

فيمسكها إذا ما شاء ربي ويرسلها إذا نَفَذَ القضاء

قال ابن القيم : والدعاء من أنفع الأدوية ، وهو عدو البلاء ، يُدافعه ويعالجه ، ويمنع نزولَه ، ويرفعه أو يُخَفِّفه إذا نزل ، وهو سلاح المؤمن ...

وله - أي الدعاء - مع البلاء ثلاث مقامات :

أحدها : أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه .

الثاني : أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء ، فيُصاب به العبد ، ولكن قد يخففه ، وإن كان ضعيفا .

الثالث : أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه [47] **.**

9 - والدعاء من أعظم أسباب الهداية

ولذا كان من دعائه – [illegible] – : اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى [48] **.**

وعلّم رسولُ الله [illegible] سبطه الحسن بن عليّ – رضي الله عنهما – أن يدعو بهذا الدعاء في الوتر : اللهم اهدني فيمن هديت [49] **.**

قال ابن القيم : العجب ممن تعرض له حاجة فيَصرف رغبته وهمَّته فيها إلي الله ليقضيها له ، ولا

---

[46] - أخرجه البخاري . كتاب الجزية والموادعة . باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب ... (4/63) .

[47] - الجواب الكافي (الداء والدواء) ص (10 ، 11) .

[48] - رواه مسلم من حديث ابن مسعود . كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (4/2087) .

[49] - حديث صحيح : رواه أحمد (1/199) أبو داود (2/63) والترمذي (2/328) والنسائي (3/275) وابن ماجه (2/49 ، 50) وابن خزيمة (2/151) وابن حبان (3/225 إحسان) والحاكم (3/108) وصححه على شرط الشيخين .

يتصدّى للسؤال لحياة قلبه من موت الجهل والإعـراض ، وشفائه مـن داء الشـهوات والشـبهات ، ولكـن إذا مـات القلب لم يشعر بمعصيته [50] .

وفوائدُ الدُّعاء عظيمة لمن تأملها .
ولكن أين مَنْ يمـدّ يديـه ؟

---

[50] **- الفوائد (ص 147) .**

رابعاً : كيف يكون الدعاء مستجاباً ؟

ثمّـة أمور وآداب وأحوال ليست واجبة كلّها ، فمنها ما هو واجب ، ومنها ما هو مسنون مستحبّ ، ومنها ما هـو واجب التّرك .
فإذا تأدّب العبد بآداب الدعاء كان ذلـك أحـرى وأدعـى للإجابة .

ومن آداب الدعاء :

1 - الإخلاص لله تبارك وتعالى

قال الله – عز وجل – : (وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَـهُ الـدِّينَ) [الأعراف:29]
وقال – جل جلاله – :(هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاّ هُـوَ فَـادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [غافر:65]
قـال الحـافظ ابـن كـثير – رحمـه اللـه – : (فَـادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) أي موحدين له مُقِرِّين بأنه لا إلـه إلا هو [51] .
وقال الحافظ ابـن حجـر – رحمـه اللـه – : وقـد دلّـت الآية المذكـورة أن الإجـابة مشترطـة بالإخـلاص [52] .
والإخلاص في اللغة ترك الرياء في الطاعة .
وعرفاً تخليص القلـب مـن كـل شـوب يكـدر صـفاءه ، وكل ما يتصور أن يشوب غيره [53] .
فيسـتلزم الإخلاص فـي الـدعاء تعلّـق القلـب بـالله والافتقار إليه ، واستشعار أنه لا غنـى لـه طرفـة عيـن عن مولاه .
وسيأتي لاحقا – إن شاء اللـه – أن الـدعاء لا يُسـتجاب من قلب غافلٍ لاهٍ ، وأن على الداعي أن يعزم المسـألة .

قال ابن القيم – رحمه الله – : لا يجتمع الإخلاص فـي القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند النـاس إلا كما يجتمع الماء والنار ، والضب والحـوت ، فـإذا حـدّثتك

---

[51] - تفسير القرآن العظيم (4/88)
[52] - فتح الباري (11/98)
[53] - يُنظر لذلك النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (2/61) ولسان العرب لبن منظور(7/26) والتعريفات للجرجاني (1/28) والتوقيـف علـى مهمـات التعاريف للمناوي (1/43)

نفسك بطلب الإخلاص فأقْبِلْ على الطمع أولاً فـأذبحه بسكين اليأس ، وأقْبِل على المدح والثناء فازهـد فيهمـا زهد عشاق الـدنيا فـي الآخـرة ، فـإذا اسـتقام لـك ذبـح الطمع والزهد في الثناء والمدح سـهل عليـك الإخلاص ، فإن قلت وما الذي يسهل علي ذبح الطمع والزهـد فـي الثناء والمدح قلت أما ذبح الطمع فيسـهله عليـك علمـك يقينا أنه ليس من شيء يطمع فيـه الا وبيـد اللـه وحـده خزائنه لا يملكها غيره ولا يؤتى العبـد منهـا شـيئا سـواه وأما ازهد في الثناء والمـدح فيسـهله عليـك علمـك أنـه ليس أحد ينفع مدحه ويزين ويضـر ذمـة ويشـين الا اللـه وحده [54] .

2 - رفع اليدين

روى مسلم من حديث أنس – رضي الله عنـه – قـال : رأيت رسول الله [illegible] يرفعُ يديه في الدعاء ، حتى يُرى بياضُ إبطيه [55] .

وهذا يدلّ على شدة رفع اليدين في الدعاء .

وفي حديث أبي موسى قال : ثـم رفـعَ يـدَيهِ فقـال : اللهمّ اغفرْ لعُبَيدٍ أبي عامر ورأيتُ بياضَ إبطيْه [56] .

وعن مَالِكِ بنِ يَسَارٍ السّكُونِيّ ثُمّ الْعَـوْفِيّ أَنّ رَسُـولَ الله صلى الله عليه وعلـى آلـه وسـلم قـال : إذَا سَـأَلْتُمُ

---

[54] - الفوائد (187 ، 188)

[55] - كتاب صلاة الاستسقاء (2/612) .
ورواه البخاري . كتاب الاستسقاء . باب رفع الإمام يـده فـي الاستسـقاء ، ولفظه عنده : لا يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسـقاء ، وإنـه يرفع حتى يرى بياض إبطيه .
وسيأتي في حديث أبي موسى خلاف ذلـك ، فيُقـال فـي ذلـك : إن أنسـاً – رضي الله عنه – حدّث بما علِم ، وأبو موسى – رضي الله عنـه – حـدّث بمـا علِم .
قال الحافظ ابن حجر – بعد أن أشار إلى بعض الأحاديث الـواردة فـي رفـع اليدين – : فيتعين حينئذ تأويل حديث أنس أنه أراد الرفع البليغ بدليل قوله : "حتى يُرى بياض إبطيه " (التلخيص الحبير 1/251) .

[56] - سيأتي بتمامه ويأتي تخرجه أيضا .

اللهَ فَسَلُوهُ ببُطِونِ أكُـفِّـكُمْ ، وَلاَ تَسْأَلُـوهُ بِظُهُورِهَـا [57] .

وفي حديث أنس وقصة دخول الأعرابي قـال : فرفـعَ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدَيهِ ثم قال : اللّهمّ أغثْنا . اللّهمّ أغثْنا . اللهمّ أغثـنا [58] .

وفي صحيح مسلم من حديث عن عبد اللـه بـن عمـرو بن العاص – رضي الله عنهما – أن النبي صلى الله عليـه وعلى آله وسلم تلا قول الله عز وجـل فـي إبراهيـم : (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَـإِنَّهُ مِنِّـي و) [إبراهيم : 36] ، وقال عيسى عليه السلام : (إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِـرْ لَهُـمْ فَإِنَّـكَ أَنـتَ الْعَزِيـزُ الْحَكِيمُ) [المائدة : 118] ، فرفع يديه وقال : اللهـم أمتي أمتي ، وبكى ، فقال الله – عز وجل – : يا جبريـل اذهب إلى محمد – وربك أعلم – فَسَلْـهُ ما يبكيك ؟ فأتـاه جبريل – عليه الصلاة والسلام – فسأله ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وعلـى آلـه وسـلم بمـا قـال - وهـو أعلم - ، فقال الله : يا جبريل اذهب إلـى محمـد فقـل : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءُك [59] .

قـال الإمـام النـووي – رحمـه اللـه – : هـذا الحـديث مشـتمل علـى أنـواع مـن الفوائـد منهـا اسـتحباب رفـع اليدين في الدعاء ... [60] .

وعن أَبي هُرَيْرَةَ قال : أَقْبَـلَ رَسُـولُ اللـه صـلى اللـه عليه وعلى آله وسلم فَدَخَلَ مَكّـةَ ، فأَقْبَـلَ رَسُـولُ اللـه

---

[57] - حديث حسن : رواه أبو داود (2/78)والطبراني في مسند الشاميين (2/432)وابن أبـي عاصـم فـي الآحـاد والمثـاني (4/410) وأمـا حـديث " اذا سألتم الله فسألوه ببطـون أكفكـم ولا تسـألوه بظهورهـا ، وامسـحوا بهـا وجوهكم " فقد فقال فيه أبو داود بعد أن رواه (2/78) : روي هذا الحـديث من غير وجه عن محمـد بـن كعـب كلهـا واهيـة وهـذا الطريـق أمثلهـا وهـو ضعيف أيضا ، وأشار البيهقي في السنن الكبرى (2/212) إلـى ضـعفه بعـد أن نقل قول أبي داود ، وقال ابن أبي حاتم في العلل (2/351) : هذا حديث منكـر .

[58] - تقدم بتمامه ص 10

[59] - كتاب الإيمان (1/191) وهذا لفظه عند مسلم دون سقط . قال الإمام النووي – رحمه الله – : وقال عيسى صلى الله عليـه وسـلم :(إن تعـذبهم فانهم عبادك) هكذا هو في الأصول " وقال عيسى " قال القاضي عياض : قال بعضهم قوله : قال ، هو اسم للقول ، لا فعل . يُقـال : قـال ، وقيلا ، كأنه يقال : وتلا قول عيسى . هذا كلام القاضي عياض . المنهاج في شرح صحيح مسلم ابن الحجاج (3/438)

[60] - المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (3/438)

صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى الْحَجَرِ فَاسْتَلَمَهُ ثُـمّ طَافَ بالْبَيْتِ ، ثُمّ أَتَى الصّفَا فَعَلاَهُ حَيْثُ يَنْظُرُ إلَى الْبَيْتِ فَرَفَعَ يَدَيْـهِ فَجَعَلَ يَـذْكُرُ اللـه – عـز وجـل – مَـا شَـاءَ أنْ يَذْكُرَهُ وَيَدْعُوهُ [61] .

وتقدّم حديث عمر رضي الله عنـه - فـي صـفةِ دعـائه صـلى اللـه عليـه وعلـى آلـه وسـلم يـوم بـدر - وفيـه : فَاسْتَقْبَلَ نَبِـيُّ اللّـهِ صـلى اللـه عليـه وعلـى آلـه وسـلم الْقِبْلَةَ ثُمّ مَدّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبّهِ : اللّهُمّ أنْجِزْ لِـي مَـا وَعَـدْتَني ، اللّهُـمّ آتِ مَـا وَعَـدْتَنِي اللّهُـمّ إنْ تَهْلِـكْ هَـذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِـي الأَرْضِ ، فَمَـا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبّهِ مَادّاً يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حـتى سَـقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ [62] .

ولرفع اليدين فائدة عظيمـة ، حيـث يسـتحي ربُّـك أن يردّهما صفرا . فقد ثبت من حديث سلمان – رضـي اللـه عنه – أنه قال : قال رسول الله صلى اللـه عليـه وعلـى آله وسلم : إنّ رَبّكُمْ تَبَارَكَ وتعَالى حَيِـيّ كَرِيـمٌ يَسْـتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدّهُما صِفْراً خـائبتين [63] .

والأحاديث في رفع اليدين عند الدعاء بلغت حد التواتر المعنوي .

3 ـ الوُضوء لمن أراد الدعاء

الوضـوء لمـن أراد الـدعاء مُسـتحب ، وهـو مـن آداب الدعاء .

فعن أبي موسى – رضي الله عنـه – قـال : لمـا فَـرَغَ النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم من حُنين بَعثَ أبـا عامر على جيشٍ إلى أوطاس فلقـيَ دُرَيـدَ بـن الصّـمّة ، فقُتِلَ دُرَيـدٌ ، وهَـزَمَ اللّـهُ أصحـابه . قـال أبـو موسـى : وَبَعثني [64] مَعَ أبي عامر ، فرُميَ أبو عامرٍ فـي ركبتِـهِ ،

---

[61] - حديث صحيح : رواه أحمد (2/538) وأبو داود (2/175) وابن خزيمـة (4/230) .

[62] - تقدم الحديث بتمامه وتخريجه ص 14

[63] - حديث حسن : رواه الإمام أحمد (5/438) والترمذي (5/556) وحسّنه ، وأبو داود (2/78) وابن ماجه (4/282) وابن حبان (3/160) ، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (11/143) : سنده جيد .

[64] - أي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

رَمَاه جُشَميّ بسهمٍ فأثبَتَهُ في رُكبتِهِ ، فانتهيتُ إليهِ فقلتُ : يا عمّ مَن رماكَ ؟ فأشارَ إلى أبي موسى ، فقال : ذاك قاتلي الذي رماني ، فَقَصَدتُ له فلحِقته ، فلما رآني وَلّى ، فاتّبَعْتُه ، وجعلت أقولُ له : ألا تَستحي ! ألا تثبت فكفّ ، فاختَلفنا ضربتَين بالسيف فقتلتُهُ ، ثم قلتُ لأبي عامر : قَتَل اللّهُ صاحبَك . قال : فانزع هذا السهمَ فنزَعتُه فنزا منهُ الماء [65] قال : يا ابنَ أخي أقرئ النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم السلامَ ، وقُلْ له : استغفِرْ لي . واستَخلَفني أبو عامِرٍ على الناس ، فمكثَ يسيراً ثم مات ، فرجَعتُ فدخلت على النبيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم في بيتِهِ على سريرِ مُرمَلٍ [66] وعليه فِراشٌ قد أثّرَ رِمالُ السريرِ في ظهرِهِ وَجَنبَيه ، فأخبرتُهُ بخبرِنا وخبرِ أبي عامر . وقلت له : قال : قُل له يستغفرْ لي ، فدَعا بماءٍ فتوضّأ ، ثم رفعَ يدَيهِ ثم قال : اللهمّ اغفرْ لعُبَيدٍ [67] أبي عامر ، ورأيتُ بياضَ إبطيْه [68] ثمّ قال : اللهمّ اجعَلْهُ يومَ القيامةِ فوق كثيرٍ من خلقِكَ من الناس ، فقلتُ : وَلِي فاستغفرْ فقال : اللهمّ اغفر لعبدِ اللّهِ بن قَيس [69] ذَنْبَه وأدخلْه يومَ القيامة مُدخَلاً كريماً .

قال أبو بُردَةَ : إحداهما لأبي عامرٍ ، والأُخرى لأبي موسى [70] .

4 - استقبال القبلة

عن جابرِ بنِ عبدِ اللّهِ – رضي الله عنه – في صفة حجة الوداعِ – قال : ثم ركب رسول الله [illegible]

---

[65]- أي جرى ولم ينقطع .

[66] - أي منسوج ومسفوف .

[67] - هو عبيد بن سليم بن حضار الأشعري ، وهو عم أبي موسى – رضي الله عنهما – أفاده ابن حجر . (فتح الباري 8/42)

[68] - وهذا يدل على شدة رفع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يديه ، وانظر – غير مأمور – (ص 27) من هذا الكتاب .

[69] - هذا اسم أبي موسى الأشعري ، وهو – رضي الله عنه – قد اشتهر بلقبه :(أبي موسى الأشعري) ، وأبو بردة ابنه الراوي عنه

[70] - رواه البخاري . كتاب المغازي. باب غزاة أوطاس (5/101) ومسلم .كتاب فضائل الصحابة (4/1943) .

وقول أبي بردة : إحداهما لأبي عامرٍ ، والأُخرى لأبي موسى . يعني إحدى الدعوتين لأبي عامر ، وهي " اللهمّ اجعَلْهُ يومَ القيامةِ فوق كثيرٍ من خلقِكَ من الناس " ، والأخرى لأبيه أبي موسى ، وهي " اللهمّ اغفر لعبدِ اللّهِ بن قَيس ذَنْبَه ، وأدخلْه يومَ القيامة مُدخَلاً كريماً " .

[illegible] حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات ، وجعل جبل المشاة بين يديه ، واستقبل القبلة ، فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس ... قال : ثُمّ ركبَ [71] القصواء [72] حتّى وقفَ على المَشعرِ الحرامِ واستقبلَ القبلةَ فدعا اللّهَ وكبّرَهُ وهلّلَهُ ووحّدَهُ ، فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً [73] .

وهذا في أعظم مواطن الدعاء ، في عرفة وعند المشعر الحرام .

وعن عبّادِ بنِ تميم عن عمّهِ قال : رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم خَرجَ يَستسقي قال : فحوّلَ إِلى الناسِ ظهرَهُ واستَقبلَ القِبلةَ يدعو [74] .

وفي صفة دعاء النبيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم بدر : فَاسْتَقْبَلَ نَبِيّ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم الْقِبْلَةَ ثُمّ مَدّ يَدَيْهِ [75] .

5 ـ البدء بالثناء على الله ، ثم الصلاةِ على النبيّ صلى الله عليه وسلم قبل الدعاء

عن عبدِ الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : كُنْتُ أُصَلّي والنبيّ [illegible] وأبُو بكرٍ وعُمَرُ معه ، فلما جَلَسْتُ بَدَأْتُ بالثناءِ على الله ، ثم الصّلاةِ على النبيّ [illegible] ، ثم دَعوْتُ لنَفْسِي ، فقال النبيّ [illegible] : سَلْ تُعْطَهْ . سَلْ تُعْطَهْ [76] .

---

[71] - أي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

[72] - هذا اسم ناقة للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وهي غير العضباء ، فقد ثبت في صحيح البخاري من حديث أنَس – رضي الله عنه – قال : كانت ناقةُ النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يُقالُ لها العَضْباءُ .

[73] - رواه مسلم . كتاب الحج (2/891) .

[74] - رواه البخاري .كتاب الاستسقاء . باب كيف حوّل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ظهره إلى الناس (2/20) ومسلم كتاب صلاة الاستسقاء (2/611) .

وعباد بن تميم يروي عن عمه ، وعمه هو : عبد الله بن زيد بن عاصم المازني – رضي الله عنه – .

[75] - تقدم الحديث بتمامه وتخريجه (ص 15) .

[76] - حديث حسن : رواه الترمذي (2/488) وقال : حسنٌ صحيحٌ والحافظ الضياء في المختارة (1/93) ، وأخرجه بنحوه : الإمام أحمد (1/386) وابن خزيمة (2/186) وابن حبان (5/303 إحسان) والحاكم (2/246) والنسائي في الكبرى (5/71)

وعن فَضَالَةَ بنَ عُبَيْدٍ صَاحِب رَسُولِ اللـه صـلى اللـه عليه وعلى آله وسلم قال : سَمِعَ رَسُولُ الله صلى اللـه عليه وعلى آله وسلم رَجُلاً يَدْعُو في صَلاَتِهِ لَمْ يُمَجّدِ الله وَلَمْ يُصَلّ عَلَى النّبيّ صلى الله عليه وعلى آلـه وسـلم ، فَقَالَ رَسُولُ اللـه صـلى اللـه عليـه وعلـى آلـه وسـلم : عَجِلَ هَـذَا . ثُـمّ دَعَـاهُ فَقَـالَ - لَـهُ أَوْ لِغَيْـرِهِ - : إذا صَـلّى أَحْدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ رَبّهِ وَالثّنَاءِ عَلَيْهِ ، ثُـمّ يُصَـلّي عَلَـى النّبيّ صلى الله عليه وسلم ، ثُمّ يَدْعُو بَعْـدُ بِمَـا شـاء [77] **.**

6 ـ التضرع والإخبات لله جل وعلا ، والانكسار بين يديه

قصّ اللـه تبـارك وتعـالى خـبر أيـوب – عليـه الصـلاة والسلام – فقال : (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَـا بِـهِ مِـن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّـنْ عِنـدِنَا وَذِكْـرَى لِلْعَابِدِينَ) [الأنبياء:83-84] .

وقد سُئل ابنِ عباسٍ عن استسقاءِ رسولِ اللـه صـلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : إن رسـولَ صـلى اللـه عليه وعلى آله وسلم خَرَجَ مُتَبَـذّلاً مُتَوَاضِعـاً مُتَضَرّعـاً ، حتى أَتَى المُصَلّى ، فلم يَخْطُبْ خُطْبَتكم هذِهِ ، ولكن لم يـزَل في الدعاءِ والتَضَرّعِ والتكبيرِ ، وصلّى ركعَتْيـنِ كمـا كانَ يصَلّي في العيدِ [78] **.**

ومِن هُنا اختلف خروجـه صـلى اللـه عليـه وعلـى آلـه وسلم لصلاة الاستسقاء عن خروجه لصلاة العيـد ؛ لأن المقام – في الاستسقاء – مقام تـذلل لا مقـام تجمّـل ، ومقام الدعاء في عرفـة مقام تخشّع وتذلل ، بينما يـوم العيد يوم فرح وتجمّل .

ويدخل في التذلّل : فعل بعض السلف عنـد خروجهـم للاستسقـاء ، فقد كان بعضهم يـحثو التراب على رأسـه ، ويخرج متخشّعـاً .

أو يضع التراب على رأسه عند الدعاء تخشعا وتذللاً .

---

[77] - حـديث صـحيح : **رواه أحمـد (6/18) وأبـو داود (2/77) والترمـذي (5/517) وابن خزيمـة (1/351) والحـاكم (1/354) وصـححه علـى شـرط مسلم ، ورواه ابن حبان (5/290 إحسان) .**

[78] - حديث حسن : **رواه أحمد (1/355) وأبو داود (1/302) والترمذي (2/445) وقال :حسنٌ صحيحٌ .والنسائي (3/156)**

فعن عقبة بن عامر – رضي الله عنه – قال : لما طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر ، فبلغ ذلك عمر ، فَوَضَعَ التراب على رأسه وجعل يقول : ما يعبأ الله بعمر بعد هذا . فنزل جبريل من الغد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله تعالى يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر [79] .

7 ـ الاعتراف بالذنب :

الاعتراف بالذّنب أقرب إلى العفو ، ومن تأمل كتاب الله وجد إجابة دعوات بعض الأنبياء قُرِنت بالاعتراف بالذنب .

فهذا أبو البشر – عليه الصلاة والسلام – وزوجه يعترفان : (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِر لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [الأعراف : 23]

ويأتي الجواب : (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى) [طه : 122]

وذاك نبي الله داود الذي استغفر (رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ) قال الله جل جلاله : (فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ) وزيادة (وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ) .

وذاك ابنه سليمان الذي تاب وأناب (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ)

فوهب له ربُّه ملكا عظيما ، وسخّر له الريح ، والجن ، والطير .

وذاك القوي الأمين قال بعد أن قتل نفساً قال : (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [القصص : 16]

ودعوة ذي النون إذْ دَعَا وَهُوَ في بَطْنِ الحُوتِ تضمنت الإقرار والاعتراف ، قال سبحانه : (وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي

---

[79] - رواه بهذا اللفظ : أبو نُعيم في الحلية (2/51) ورجاله ثقات غير موسى بن عُلَيّ بن رباح فهو صدوق ، وجعفر بن أحمد الخولاني لم أقف له على ترجمة ، وأما قصة تطليقه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لِحفصة – رضي الله عنها – ومُراجعته إياها ، فهي ثابتة ، كما عند أبي داود (2/285) والنسائي (6/213) وابن ماجه (1/650) عن عمر – رضي الله عنه – .

الظُّلُمَاتِ أَن لاّ إِلَهَ إِلاّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) والجواب : (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ) وزيادة (وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ) وهذه عادة الله في أوليائه (وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ) [الأنبياء 87 ، 88]

فنجاه مولاه سبحانه ، وصارت دعوته نبراساً للمؤمنين .

فعن سَعْد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – قال : قَال رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : دَعْوَةُ ذِي النّونِ - إذْ دَعَا وَهُوَ في بَطْنِ الحُوتِ - : لا إِلَهَ إلاّ أنْتَ سُبْحَانَكَ إنّي كُنْتُ مِنَ الظّالِمِينَ ، فَإنّهُ لَمْ يَدْعُ بها رَجُلٌ مُسْلِمٌ في شَيْءٍ قَطُّ إلاّ اسْتَجَابَ اللّه لَهُ [80] .

ونادِ إذا سجدتَّ له اعترافاً بما ناداه ذا النون بن متّى

تأمل في مناجاةَ النبيِّ عليه الصلاة والسلام ، وهو يُناجي ربّه في دُجى الليل الساكن .

فقد كان من دعائه عليه الصلاة والسلام إذا قام يتهجّد من الليل أن يقول – بعد أن يُثني على الله عز وجلّ بما هو أهلُه – :

اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر . لا إله إلا أنت [81] .

ثم تأملوا هذا الدعاء من أدعيته عليه الصلاة والسلام ، وهو يقول :

اللهم اغفر لي جدي وهزلي ، وخطئي وعمدي ، وكل ذلك عندي [82] .

وكان صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده :

---

[80] - حديث صحيح : رواه أحمد (1/170) والترمذي (5/529) والنسائي في الكبرى (6/168) والحاكم (1/684) وصححه ، والضياء في المختارة (3/234) وصححه . وقال الهيثمي في المجمع (7/68) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص وهو ثقة . وفي الحديث قصة ، فلتُنظر في المسند والمختارة – في الموضعين السابقين – .

[81] - متفق عليه ، وسيأتي تخريجه (ص 26) .

[82] - هذا اللفظ هو أول حديث أبي موسى – رضي الله عنه – والحديث متفق عليه ، وسيأتي تخريجه (ص 26) .

اللهم اغفر لي ذنبي كلَّه ، دِقَّـه وجِلَّه ، وأولَه وآخرَه ، وعلانيتَه وسرَّه [83]

وفي هذا الـدعاء الاعـتراف بالـذنب ، مـع أنـه – عليـه الصلاة والسلام – قد غُفِر له ما تقدّم مِن ذَنبه وما تأخّـر .

وقد تقدّم تعليمه صـلى اللـه عليـه وعلـى آلـه وسـلم لأبي بكر دعاءً يدعوا به في صلاته ، وفيه هذا المعنى [84] .

قال سبحانه وبحمده : (وَاللّـهُ بَصِـيرٌ بِالْعِبَـادِ * الَّـذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّـارِ) [آل عمران : 15 - 16]

فهـذا توسّــلٌ بالعمـل الصـالح وهـو الإيمـان بـالله ، واعتراف بالذنب ، وختمـه بالدعاء بالنجاة من عذاب النار .

وكما قيل : سكب العبرات يُقيل العثرات .

فـ :

يا من عدى ثم اعتدى ثم اقترف ثم ارعـوى ثم انتهى ثم اعترف

أبشـر بقـول الله في آياتـه : (إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ)

8 - اليقينِ بالإجابة مع حضور القلبِ

القلب هـو ملِـك الأعضـاء ، ولا بُــد مـن حضـوره عنـد سؤال ملِك الملوك سبحانه وتعالى .

وإذا لم يحضر القلب كان الدعاء نوع من العبث .

فعن أبي هُرَيْرة – رضي الله عنه – قال : قال رَسُـولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : اُدْعُـوا اللـه وَأَنْتُـمْ مُوقِنُونَ بالإجَابَــةِ ، وَاعْلَمُــوا أَنّ اللـه لا يَسْـتَجِيبُ دُعَـاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاَهٍ [85] .

---

[83] - رواه مسلم . كتاب الصلاة (1/350) .

[84] - انظر – غير مأمور – (ص 26) من هذا الكتاب .

[85] - حديث حسن : رواه والترمذي (5/517) والطبراني في الأوسـط (5/211) والحاكـم (1/670) وقال : مستقيم الإسناد .
وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو : رواه أحمـد (2/177) ، وقال الهيثمي (10/148) : رواه أحمد ، وإسناده حسن .
قال عبد الرحمن – عفا الله عنه – : وفي إسناد أحمد ابن لهيعة ، والحديث حسن بمجموع طرقه .

وبذلك يتبين لك عبث بعض الناس الذين يرفعون أيديهم وقلوبهم لاهية ، فيرفع أحدُهم يديه ويلتفت يميناً وشمالاً ، ولا يَعِي ما يقول ، وبعضهم اتخذ رفع يديه بعد النافلة وقبل الفريضة عادة ، حتى يرفع بعضهم يديه ولا يقول شيئاً !

قال ابن مسعود – رضي الله عنه – : لا يسمعُ اللهُ من مسمّع ، ولا مراءٍ ، ولا لاعِبٍ ، إلا داعٍ دعا يُثبت من قلبه [86] .

أي يسمعُ الله دعاءه .

قال مالك بن الحارث : كان ربيع يأتي علقمة . قال : فأتاه ولم يكن ثمة ، فجاء رجل فقال : ألا تعجبون من الناس وكثرة دعائهم وقلة إجابتهم ؟ فقال ربيع : تدرون لم ذاك ؟ إن الله لا يقبل إلا الناخلة من الدعاء ، والذي لا إله غيره لا يسمع الله من مُسمِّع ولا مرائي ولا لاعب ولا داع إلا داعٍ دعا بتثبت من قلبه [87] .

قال يحيى بن معاذ : من جَمَعَ الله عليه قلبَه في الدعاء لم يردّه .

قال ابن القيم معلّقاً على قوله : إذا اجتمع عليه قلبُه ، وصدقت ضرورتُه وفاقتُه ، وقوي رجاؤه ، فلا يكادُ يُردَّ دعاؤه [88] .

9 ـ ختم الدعاء بما يناسب الحال

---

[86] - حديث صحيح موقوف **رواه البخاري في الأدب المفرد ، وقال الألباني : صحيح الإسناد . صحيح الأدب المفرد (ص 227).**

[87] - **رواه ابن أبي شيبة (6/34) ، وهي رواية البخاري في الأدب المفرد ، حيث جاء فيها : مالك بن الحارث عن عبد الرحمن بن يزيد قال :كان الربيع ياتى علقمة يوم الجمعة فإذا لم أكن ثمة أرسلوا إليّ ، فجاء مرة ولست ثمة ، فلقينى علقمة وقال لي : ألم تر ما جاء به الربيع ؟ قال : ألم تر أكثر ما يدعو الناس وما أقل إجابتهم ؟ وذلك أن الله عز وجل لا يقبل إلا الناخلة من الدعاء . قلت : أو ليس قال ذلك عبد الله ؟ (يعني ابن مسعود) قال : وما قال ؟ قال : قال عبد الله : لا يسمع الله من مسمع ولا من مراء ولا لاعب إلا داع دعا يثبت من قلبه . قال : فذكر علقمة . قال : نعم .**

فالذي يظهر أن الربيع وهو ابن خثيم تلقّاه عن ابن مسعود – رضي الله عنه – إذ هو من أخص تلاميذه .

[88] - **الفوائد . ص (72) .**

وذلك كأن تدعو اللـه – عـز وجـل – أن يرزقـك رزقـاً حسنا فتَخْتِم دعـائك بنحـو قولـك : يـا رزاق يـا ذا القـوة المتين .

وعند طلب المغفرة تختم الدعاء بنحو : ياغافر الـذنب ، أو ياغفّار أو يا غفور يا رحيم ، وهكذا

ولذا كان من دعائه صلى الله عليه وعلى آله وسـلم : اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، ومـا أسـررت ومـا أعلنت ، ومـا أنـت أعلـم بـه منـي . أنـت المقـدِّم وأنـت المؤخِّـر ، وأنت علىكل شيء قدير [89] .

ولما سأل أبو بكر الصديق – رضي الله عنـه – رسـولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسولَ اللّه علمنـي دُعاءً أدعو به في صلاتي قال : قل : اللهـمّ إنـي ظلمـتُ نفسي ظلماً كثيراً ، ولا يَغفـرُ الذّنوبَ إلا أنتَ فاغفِرْ لي مغفرةً من عندَك وارحمني إنكَ أنتَ الغفور الرّحيم [90] .

وعلّم رسولُ الله صـلى اللـه عليـه وعلـى آلـه وسـلم عائشة – رضي الله عنها – دعـاءً تدعو به إن هي وافقت ليلة القدْر أو عَلِمَتْها ، فقال : قُـولِي : اللّهُـمّ إِنّـكَ عَفُـوّ كريم تُحِبُ العَفْـوَ فاعْـفُ عَـنّـي [91] .

فهذا كله من ختم الدعاء بما يُناسبه مـن أسـماء اللـه الحسنى .

10 ـ الإكْثارِ من الدّعَاءَ في الرّخَاءِ

مَـنْ عَـرَف الله في الـرخـاء عَـرَفَـه في الشِّـدّة .

عن أبي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قـال : قال رسُـولُ الله صلى اللـه عليـه وعلـى آلـه وسـلم : مَـنْ سَـرّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللهُ لَهُ عِنْدَ الشّـدَائِدِ والكُـرَبِ ، فَلْيُكْثِـرِ الـدّعَاءَ في الرّخَـاءِ [92] .

---

[89] - رو اه البخاري من حديث ابن عباس (2/41، 42) ، (7/148) وأبي موسى الأشعري (7/165) . ورواه مسلم من حديث ابن عباس (1/532) وأبي موسى الأشعري (4/2087) ومن حديث علي بن أبي طالب (1/535) .
رواه البخاري . كتاب التهجد . باب التهجد بالليل (2/41 ، 42) واللفظ لـه ، ومسلم .كتاب صلاة المسافرين وقصرها (1/532 ، 533) .

[90] - رواه البخاري (1/203) ومسلم (4/2078) .

[91] - سيأتي تخريجه . انظر – غير مأمور – (ص 34) من هذا الكتاب .

[92] - حديث حسن : رواه الترمذي (5/462) وأبو يعلى (11/283) والحاكم (1/729) .

قال أبو الدرداء : مَنْ يُكثر الدعاء في الرخاء يُستجاب لـه عند البلاء ، ومن يُكثر قَرْع الباب يُفتح لـه [93] .

وقـال ابـن رجـب : وفـي الجملـة ، فَمَـنْ عَامَـلَ اللـه بالتقوى والطاعـة في حال رخـائه ، عَامَلَهُ الله بـاللطف والإعانة في حال شدّتِه [94] .

أخلِق بذي الصبر أن يظفوَ بحاجته ومُدمن القَرْع للأبواب أن يلِجـا

11 ـ تكرار الدعاء والإلحاح على الله

مَن يُكثر قَرْع الباب يُفتح لـه ، كما قـال أبـو الـدرداء – رضي الله عنه – .

ومَن ألـحّ على الله فـي الـدعاء فـإن اللـه لا يَـردّ مَـن سأله ، ولا يقطع مَن رجـاه ، ولا يخيب مَن أمّـلـه .

وجاء في صفة دعائه صلى الله عليه وعلى آله وسـلم يوم بدر أنه صلى الله عليـه وعلـى آلـه وسـلم اسْـتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ، ثُمّ مَدّ يَدَيْهِ ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبّـهِ : اللّهُمّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي ، اللّهُـمّ آتِ مَـا وَعَدْتَنِي اللّهُمّ إنْ تَهْـلِكْ هَـذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَـدْ فِـي الأَرْضِ . فَمَـا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبّهِ مَادّاً يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ، حَتّىَ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ ، فَأَتَـاهُ أَبُـو بَكْـرٍ فَأَخَـذَ رِدَاءهُ ، فَأَلْقَـاهُ عَلَـىَ مَنْكِبَيْهِ ، ثُمّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ : يَـا نَبِـيّ اللّـهِ كَـذَاكَ مُنَاشَدَتَكَ رَبّكَ ، فَإِنّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ ، فَأَنْـزَلَ اللّهُ : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُـمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُـم بِأَلْـفٍ مِّـنَ الْمَلآئِكَـةِ مُـرْدِفِينَ)[الأنفال:9] [95] .

وقد اشـتمل هـذا الحـديث علـى عـدة آداب مـن آداب الدعاء :

أولها : استقبالُ القبلة .

ثانيها : رفع اليدين [مادّاً يديه].

ثالثها : [التضرّع] هتافُـه بربه .

رابعها : الإلحاح [فما زال يهتف بربه] .

---

[93] - رواه البيهقي في شعب الإيمان (7/203) .

[94] - جامع العلوم والحكم (1/474) .

[95] - تقدّم تخريجه (ص 14)

خامسها : حضورُ قلبِه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، حتى عندما سقطَ رداؤه لم يشعر به ، بل ردّه عليه أبو بكر – رضي الله عنه – .

هذا وهو المؤيد بالوحي المأمور بغزو القوم : " أغزهم نُغْزِكَ ، وأنفق فَسَنُنْفق عليك ، وابعث جيشاً نبعث خمسة مثله ، وقاتِل بمن أطاعك من عصاك " [96] .

ومع ذلك لم يعتمد علىذلك ، وإنما ألحّ على الله وكرر الدعاء وهتف بربِّه .

12 ـ عزم المسألة ، وعدم التردد

بمعنى أن يسأل الداعي ربَّه وهو جادٌ في سؤاله ، يسأله مسألة المسكين ، ويبتهل إليه ابتهال المذنب الذليل ؛ ولا يسأله مسألة من يُجرِّب ، وكأنه يمتحن ربّه .

قال البيهقي – في فصول في الدعاء – : ومنها أن يكون دعاؤه سؤالا بالحقيقة لا اختباراً لربه جل ثناؤه ... ومنها أن يَعزم المسألة [97] .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أنّ رَسُولَ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت . اللهم ارحمني إن شئت ليعزم في الدعاء ، فإن الله صانعُ ما شاء لا مُكره له [98] .

وفي رواية لمسلم : إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلاَ يَقُلِ : اللّهُمّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ ، وَلْيُعَظّمِ الرّغْبَةَ ، فَإِنّ اللّهَ لاَ يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ .

وعن أنس – رضي الله عنه – مرفوعاً : إذا دعا أحدكم فليعزم في الدعاء ، ولا يقل اللهم إن شئت فأعطني ، فإن الله لا مستكره له .

---

[96] - مسلم . كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (4/2197) . ومعنى : نُغْزِك : أي نُعينك .

[97] - شعب الإيمان (2/43- 45) .

[98] - رواه البخاري .كتاب الدعوات . باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له (7/153) . ورواه مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (4/2063) والرواية الثانية في الموضع نفسه .
وحديث أنس – الآتي بعده – في الموضعين نفسيهما .

ويُخطئ بعض الناس عندما يقرن الدعاءَ بالمشيئة ، فيقول مثلاً : جزاك الله خيراً إن شاء الله ، وما أشبه ذلك ، وهذا خطأ .

وذلك لأن من دعا وقَرَنَ دعائه بالمشيئة فهو بين أمرين :

- **إما أن يكون الداعي غير محتاج لما سأل .**
- **وإما أن يكون المسؤول غير مقتدر على تلبية السؤال ، فيخشى أن يُوقعه في الحرج ، فيقول : أعطني كذا إن شئت .**

وكل من الأمرين مُنْتَفٍ في حق الله تبارك وتعالى .

قال علماؤنا : قوله : " فليعزم المسألة " دليل على أنه ينبغي للمؤمن أن يجتهد في الدعاء ، ويكون على رجاء من الإجابة ، ولا يقنط من رحمة الله ؛ لأنه يدعو كريما [99] .

13 - الإكْثارِ من ذِكرِ الله تبارك وتعالى

مَنْ ذَكَرَ الله ذَكَره الله ، إذ الجزاء من جنس العمل .

ومَنْ أكثر من ذِكر الله كان قريبا من الله مُحبّاً له ، إذ أن من أحبّ شيئا أكثر مِن ذِكره ، ومَن أحبّه الله أكرمه .

فعن أَبي هُرَيْرة – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : ثلاثة لا يَردُّ الله دعاءَ هم : الذاكر الله كثيراً ، والمظلوم ، والإمام المقسط [100] .

وذِكر الله مِن أحب الأعمال إلى الله – عز وجل –

قال – عليه الصلاة والسلام – : ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى . قال : ذكر الله تعالى [101] .

---

[99] - من كلام القرطبي في التفسير (1/127) .

[100] - حديث حسن : رواه البيهقي في شعب الإيمان (1/419 ، 6/11) وحسّنه الألباني في صحيح الجامع (برقم 3064) .

[101] - حديثٌ صحيح : رواه أحمد (5/195) والترمذي (5/459) وابن ماجه (2/1245) .

فإذا كان ذكر الله لـه هذه المنــزلة فهـو مـن أفضـل النوافل [102] ، وقد قال – عليـه الصـلاة والسـلام – : ومـا تقرب إليّ عبدي بشيء أحبّ إلـيّ ممـا افترضـت عليـه ، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حـتى أحبـه ، فـإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله الـتي يمشـي بهـا ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه [103] .
فإذا أحبّ الله عبداً استجاب دعاءه ، وأعطاه مسألته .

14 ـ ختم الدعاء بالصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم

فوائد الصلاة على النبي صـلى اللـه عليـه وعلـى آلـه وسلم كثيرة عظيمة النفع ، وقـد قَـرَن اللـه اسـم نبيِّــه باسمه في مواضع عديدة ، كالشـهادتين ، وفـي الأذان ، وعلى المنابر ، فلقد رفع الله لـه ذِكْرَه صلى اللـه عليـه وعلى آله وسلم .
ومن فوائد الصلاة على النبي صلى اللـه عليـه وعلـى آله وسلم رفع الدعاء إلى السماوات العُلى
فعن علي – رضي الله عنه – قال : كلّ دعاءٍ محجوبٌ حتى يُصَلَّى على النبي صلى الله عليه وعلى آلـه وسـلم [104] .
فيفتتح الدعاء بالصلاة عليه صلى اللـه عليـه وسـلم ، ويُختتم بالصلاة عليه [105] .

---

[102] - لتفصيل هذه المسألة وفضل الذِّكر والذّاكر . يُراجع الوابل الصيب لابن القيم (ص 58) .
[103] - رواه البخاري . كتاب الرقاق . باب التواضع (7/190) .
[104] - حديث حسن : رواه الطبراني في الأوسط (1/220) والبيهقي في شعب الإيمان (2/216) وقال : هكذا وجدته موقوفـاً .
قال الهيثمي في المجمع (10/160) : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات .
وقال الشيخ الألباني (الصحيحة مج 5 / 54 – 58) : وخلاصة القول أن الحديث بمجموع هذه الطرق والشواهد لا ينـزل عن مرتبة الحسن – إن شاء الله تعالى – على أقل الأحوال .
قال عبد الرحمن - عفا الله عنه - : وقول أبي الحسن – رضي الله عنه – لا يُقال من قبيل الرأي ، فله حكم المرفوع .
[105] - وقد تقدم (ص 24) البدء بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الثناء على الله – عز وجل – .

وأما صفة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنها كما علمها أصحابه عندما سألوه قائلين : يا رسول الله كيف نُصلي عليك ؟ فقال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد [106] **.**

15 - عدم الاعتداء في الدعاء

لأن الاعتداء في الدعاء نوعٌ من العبث لا يليق بالعبادة ، ويتنافى مع آداب الدعاء .

ويدخل تحت الاعتداء :

أ - دعاء اللهِ سبحانه بغير الأسماء الثابتة في الكتاب والسُّنة

قال سبحانه وتعالى : (وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) [الأعراف : 180] .

قال الشوكاني : والإلحادُ في أسمائه سبحانه يكون على ثلاثة أوجُه :

1 - إما بالتغيير ؛ كما فعله المشركون ، فإنهم أخذوا اسم اللات من الله ، والعُزّى من العزيز ، ومناة من المنان .

2 - أو بالزيادة عليها ؛ بأن يخترعوا أسماء من عندِهم لم يأذن الله بها .

3 - أو بالنقصان منها ؛ بأن يدعوه ببعضها دون بعض [107] **.**

وعدّ الحافظ في الفتح من الاعتداء :

4 - تسميته بما لم يرد في الكتاب أو السنة الصحيحة [108] **.**

ب - تكلّف السجع في الدعاء

السَّجْع هو تركيب الكلام بحيث تكون أواخره على نسق واحد .

---

[106] **- رواه البخاري . كتاب الدعوات . باب هل يُصلي على غير النبي صلى الله عليه وسلم ... (7/157) وفي مواضع أخر . ورواه مسلم . كتاب الصلاة (1/306) .**

[107] **- فتح القدير (2/305) .**

[108] **- فتح الباري (11/224) .**

وإذا قصد الداعي السجع انشغل قلبه بتركيب الكلام وانصرف عن الدعاء .

وقد أنكر النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم على حَمَل بْن النّابِغَةِ الْهُذَلِيّ عندما قال : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ أَغْرَمُ مَنْ لاَ شَرِبَ وَلاَ أَكَلَ وَلاَ نَطَقَ وَلاَ اسْتَهَلّ ؟ فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلّ ، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إِنّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهّانِ . مِنْ أَجْلِ سَجْعِهِ الّذِي سَجَعَ [109] .

فإذا كان هذا في كلام عابر فكيف إذا كان في الدعاء الذي هو العبادة ؟

وأخرج البخاري عنِ ابن عباسٍ – رضي الله عنهما – أنه قال : فانظر السجعَ من الدعاء فاجتنِبْه ، فإني عهدتُ رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابَهُ لا يفعلون إلا ذلك . يعني لا يفعلون إلا ذلك الاجتِناب [110] .

أي أنهم يجتنبون السجع في الدعاء .

وأخرج الإمام أحمد عن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت لابن أبي السائب : واجتنب السجع في الدعاء ، فإني عهدت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه يكرهون ذلك [111]

وفي رواية ابن أبي شيبة قالت : اجتنب السجع في الدعاء ، فإني عهدت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه وهم لا يفعلون ذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة : وأما من دعا الله مخلصاً له الدين بدعاء جائز سمعه الله وأجاب دعاءه سواء كان معربا أو ملحونا ، والكلام المذكور [112] لا أصل له ، بل ينبغي للداعي إذا لم تكن عادته الأعراب

---

109 - رواه البخاري . كتاب الطب . باب الكهانة (7/27) ومسلم . كتاب القسامة (3/1309) . ومعنى (يُطَلّ) أي يُهدر . وفي بعض الروايات (بَطَل)

110 - كتاب الدعوات . باب ما يُكره من السجع في الدعاء (7/153) .

111 - رواه أحمد (6/217) وابن حبان في (3/258 إحسان) ، ورواية ابن أبي شيبة الآتية في (6/21) ، وقال الهيثمي (1/191) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

112 - يقصد ما ورد في السؤال ، حيث سُئل عن رجل دعا دعاء ملحونا ، فقال له رجل : ما يقبل الله دعاء ملحونا .

أن لا يتكلـف الإعـراب ، قـال بعـض السـلف : إذا جـاء الإعراب ذهب الخشوع وهذا كما يَكره تكلف السجع فـي الدعاء ، فإذا وقع بغيـر تكلـف فلا بـأس بـه ، فـإن أصـل الدعاء من القلـب ، واللسـان تـابع للقلـب ، ومـن جعـل همّته في الدعاء تقويم لسانه أضعف تَوَجّه قلبه ، ولهـذا يدعو المضطر بقلبه دعـاء يُفتح عليه لا يَحضره قبل ذلك ، وهذا أمر يجده كل مؤمن في قلبه [113]

جـ - رفعُ الصوتِ بالدعاء والمبالغةِ في ذلك

المسلم إذا توجّـه في الدعاء فإنه يدعو سميعاً بصـيرا قريباً مُجيبا .

أخرج الشيخان عن أبي موسى الأشعريّ – رضي اللـه عنه – قال : كنُا معَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فكنّا إذا أشرَفْنا على وادٍ هلّلْنا وكبّرنا ، وارتفعَـت أصواتُنا ، فقال النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسـلم : يا أيّهـا الناسُ ، ارْبَعوا على أنفُسكم ، فـإنكم لا تَـدْعونَ أصـمَّ ولا غائبـاً ، إنـهُ معكـم إنـهُ سـميعُ قَريـب ، تَبـارَكَ اسمـهُ ، وتَعالى جَـدُّه [114] .

وفي رواية لمسلم قـال : والـذي تـدعونه أقـرب إلـى أحدكم من عنق راحلة أحدكم .

قـال النـووي فـي المنهـاج : فيـه النـدب إلـى خفـض الصوت بالـذكر إذا لـم تـدع حاجـة إلـى رفعـه ، فـإنه إذا خفضه كان أبلغ في توقيره وتعظيمه ، فإن دعـت حاجـة إلى الرَّفْعِ رَفَع [115] .

وقال ابن حجر في الفتـح : اربعـوا : أي ارفقـوا ، ولا تُجهدوا أنفسكم .قال الطبري : فيه كراهة رفع الصـوت بالدعـاء والذكـر ، وبه قال عامـة السـلف مـن الصحابـة والتابعين [116] .

---

[113] **- مجموع الفتاوى (22/488 ، 489) .**

[114] **- رواه البخاري . كتاب الجهاد والسير . باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير (4/16) ومسلم . كتاب الذِّكر والدعاء والتوبة و الاستغفار (4/2076) ، والرواية الآتية له في الموضع نـفسه .**

[115] **- (17/25) ، والمنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج هو المشهور بشرح النووي على صحيح مسلم .**

[116] **- (11/188) .**

وروى ابن أبي شيبة عن مجاهد أنه سمع رجلا يرفع صوته بالدعاء فرماه بالحصى [117] .

وروى أيضا أن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : أيها الناس إنكم لا تَدعُون أصما ولا غائبا يعني في رفع الصوت بالدعاء .

وروى أيضا عن الحسن قال : كانوا يجتهدون في الدعاء ، ولا يُسْمَع إلا همسا .

وعن عبد الله بن نسيب قال : صليت إلى جنب سعيد بن المسيب المغرب ، فلما جلست في الركعة الآخرة رفعت صوتي بالدعاء فانتهرني ، فلما انصرفت قلت له : ما كرهت مني ؟ قال : ظننتَ أن الله ليس بقريب منا ؟ [118] .

وكان السلف يكرهون أن يسمع الرجل جليسه شيئا من الدعاء .

قال ابن مفلح : يُكره رفع الصوت بالدعاء مطلقاً .

قال المروذي : سمعت أبا عبد الله يقول : ينبغي أن يُسرَّ دعائه لقوله تعالى : (وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا) [الإسراء:110] قال في المستوعب : يُكره رفع الصوت بالدعاء ، وينبغي أن يُخفي ذلك لأن الله تعالى قال : (ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً) [الأعراف:55] فَأَمَرَ بذلك [119] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : والسُّنّة في الدّعاء كلِّه المخافتة ، إلا أن يكون هناك سبب يُشرع له الجهر [120] .

قال الكمال ابن الهمام : ما تعارفه الناس في هذه الأزمان من التمطيط والمبالغة في الصياح والاشتغال بتحريرات النغم إظهاراً للصناعة النغمية لا إقامة للعبودية ، فإنه لا يقتضي الإجابة بل هو من مقتضيات الردّ ، وهذا معلوم إن كان قصده إعجاب الناس به فكأنه قال : أعجبوا من حسن صوتي وتحريري ، ولا أرى أن

---

117 - (2/232) .

118 - هذه الآثار رواها ابن أبي شيبة في المصنف (6/85) .

119 - انظر الآداب الشرعية والمِنح المرعية (2/187) . وأبو عبد الله هو إمام أهل السنة ، الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

120 - مجموع الفتاوى (22/468)

تحرير النغم في الدعاء - كما يفعله القراء في هذا الزمان - يصدر ممن يفهم معنى الدعاء والسؤال ، وما ذاك إلا نوع لعب ، فإنه لو قدر في الشاهد سائل حاجة من ملك أدّى سؤاله وطلبه بتحرير النغم فيه من الخفض والرفع والتطريب والترجيع كالتغنّي نسب البتة إلى قصد السخرية واللعب ، إذ مقام طلب الحاجة التضرع لا التّغني ، فاستبان أن ذاك من مقتضيات الخيبة والحرمان [121] .

د - ذكر التفاصيل في الدعاء

سمع سعد بن أبي وقاص ابناً له يُصلي فكأن يقول في دعائه : اللهم إني أسألك الجنة ، وأسألك من نعيمها ، وبهجتها ، ومن كذا ، ومن كذا ، ومن كذا ومن كذا ، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها ، ومن كذا ، ومن كذا . قال : فسكت عنه سعد ، فلما صلى قال له سعد : تعوّذت من شر عظيم ، وسألت نعيماً عظيماً – أو قال : طويلاً ، شعبة شك – قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء ، وقرأ : (ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) [الأعراف : 55] قال شعبة : لا أدري قوله : (ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَة) هذا من قول سعد أو قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم . وقال له سعد : قل : اللهم أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل [122] .

وعن عَبْد اللّهِ بْن مُغَفّلٍ أنه سَمِعَ ابْنَهُ يَقُولُ : اللّهُمّ إنّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الأَبْيَضَ عَنْ يَمِينِ الْجَنّةِ إِذَا دَخَلْتُهَا ، فَقَالَ : أَيْ بُنَيّ سَلِ اللّهَ الْجَنّةَ ، وَعُذْ بِهِ مِنَ النّارِ ، فَإِنّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَقُول : سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدّعَاءِ [123] .

---

[121] - نقلاً عن فيض القدير للمناوي (1/229) .

[122] - رواه أحمد (1/172) وأبو داود (2/77) وابن ماجه (4/281) وفي إسناده زياد بن مخراق ، وهو ثقة . قال الأثرم : سألت أحمد عنه ، فقال : ما أدري . قال : وقلتُ له : روى حديث سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يكون بعدي قوم يعتدون في الدعاء . فقال : نعم . لم يُقِم إسناده . والحديث حسّنه الألباني في صحيح الجامع (برقم 3671)

وما ذلك إلا لعلم الصحابة رضي الله عنهم بحرص النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على جوامع الدعاء ، والبعدِ عن التكلّف . وقد ربّاهم النبيُّ □□□ □□□□ □□□□ □□□□ □□□ □□□□ على ذلك

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : الدعاء ليس كلّه جائزاً ، بل فيه عدوان محرم ، والمشروع لا عدوان فيه ، وأن العدوان يكون تارة في كثرة الألفاظ ، وتارة في المعاني [124] .

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالَتْ : كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَسْتَحِبّ الْجَوَامِعَ مِنَ الدّعَاءِ ، وَيَدَعُ مَا سِوَى ذَلِك [125] .

لأن ما سوى ذلك يدخل في التكلف ، وهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد أُمِر أن يقول : (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) [ص : 86] .

والتعدِّي في الدعاء يُفوّتُ المقصود من جوامع الدعاء . قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أَيّهَا النّاسُ اتّقُوا اللّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطّلَبِ ، فَإِنّ نَفْساً لَنْ تَمُوتَ حَتّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا ، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا ، فَاتّقُوا اللّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطّلَبِ . خُذُوا مَا حَلّ ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ [126] .

ومعنى أجمِلوا في الطلب : اعتدلوا ولا تُفرِطوا فيه .

إذا عُلِمت هذه الآداب ، فللدعاء أماكن وأوقات وأحوال هي مظانّ إجابة الدعاء .

16 ـ اختيار الأوقات والأماكن والأحوال التي هي مضانّ الإجابة

ثمة أوقات وأحوال وأماكن يكون الدعاء فيها أقرب وأحرى للإجابة .

---

[123] **- حديث صحيح : رواه أحمد (5/55) وأبو داود (1/24) وابن ماجه (4/281) والحاكم (1/724) وقال :صحيح الإسناد ، وابن حبان (15/166 إحسان) .**

[124] **- مجموع الفتاوى (22/ 474) .**

[125] **- حديث صحيح : رواه أحمد (6/189) وأبو داود (2/77) والحاكم (1/723) وصححه .**

[126] **- حديث صحيح : رواه من حديث جابر بن عبد الله : الطبراني في الأوسط (3/268) والبيهقي في الكبرى (5/265) وابن عبد البر في التمهيد (24/435) . ورواه من حديث ابن مسعود : هناد في الزهد (1/281) ابن أبي شيبة (7/79) .**

أما الأوقات فمنها :

أولاً : بين الأذان والإقامة

عندما يكون العبد في انتظار الصلاة فهو في صلاة ، وهو في قُربة وطاعة .

عن أنَس – رضي الله عنه – قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : لا يُرَدّ الدّعَاء بَيْنَ الأذَانِ والإِقَامَة [127] .

ولفظه عند الترمذي . قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم : الدّعَاءُ لاَ يُرَدّ بَيْنَ الأَذَانِ والإِقَامَة . قالُوا فَمَاذَا نَقُولُ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : سَلُوا الله العَافِيَةَ في الدّنْيَا وَالآخِرَة [128]

قال ابن عمر : كُنَّا نُحَدَّث أن أبواب السماء تُفْتَح عند كل أذان .

وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يُصلِّي قبل الظهر أربعاً ، ويقول : إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء ، فأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح [129] .

ثانياً : آخر ساعة من يوم الجمعة

---

[127] - حديثٌ صحيح : **رواه أحمد (3/119) وأبو داود (1/144) والنسائي في الكبرى (6/22) وابن خزيمة (1/221) وابن حبان (4/594 إحسان) وزادا : " فادعوا " ، وهي عند أحمد أيضا (3/155) .**

[128] - **(5/576) وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ .**

=

= قال عبد الرحمن – عفا الله عنه – : ومدار إسناده عنده على زيد العمي ، وهو ضعيف ، إلا أن بريد بن أبي مريم تابعه على الشطر الأول منه ، كما في المسند (3/155) وعند النسائي في الكبرى (6/22) وابن أبي شيبة في المصنف (6/31) وابن حبان (4/594 إحسان) والضياء في المختارة (4/392) .

[129] - حديث صحيح : **رواه أحمد (3/411) والترمذي (2/342) والضياء في المختارة (9/394) والطبراني في الأوسط (4/353) من حديث عبد الله بن السائب – رضي الله عنه – .**

وله شاهد من حديث أبي أيوب – رضي الله عنه – : رواه عبد الرزاق (3/65) وأحمد (5/418) وأبو داود (2/23) وابن ماجه (2/40) والبيهقي في الشعب (3/123) .

وله شاهد ثالث من حديث عبد الله بن سفيان – رضي الله عنه – : رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (5/211) .

عن أبي هريـرةَ – رضـي اللـه عنـه – قـال : قـال أبـو القاسم صـلى اللـه عليـه وعلـى آلـه وسـلم : فـي يـوم الجمعة ساعةٌ لا يُوافِقها مسلمٌ ، وهو قائمٌ يُصلي يسألُ اللّهَ خيراً إلاّ أعطاه إيّاه . وقال بيده يقللها يزهـدها [130] .

وفي حديث عبد الله بن سلاَم – رضي الله عنه – قال : قلت - ورسول الله صلى الله عليـه وعلـى آلـه وسـلم جالس - : إنا لنَجِدُ في كتاب الله تعالى في يـوم الجمعـة ساعةٌ لا يوافقها عبد مؤمن يُصلي يسأل الله بـــها شـيئا إلا قضى الله لـه حـاجته . قـال عبـد اللـه : فأشـار إلـيّ رسول الله صلى الله عليه وعلـى آلـه وسـلم : أو بعـضُ سـاعة . فقلـت : صـدقت ، أو بعـض سـاعة . قلـت : أي ساعة هـي ؟ قـال : آخـر سـاعات النهـار . قلـت : إنـــها ليست ساعة صلاة . قال : بلى ، إن العبد إذا صـلى ، ثـم جلس لم يجلسه إلا الصلاة ، فهو في صلاة [131] .

وقد أشكل هذا على أبي هريرة حـول هـذه السـاعة ، وكيف يكـون العبـد فـي صـلاة ، وهـي سـاعة نُهـي عـن الصلاة فيها ؟

فقد حـدَّثَ أبو هريرة – رضي الله عنه – أنه لَقي عبد الله بـن سـلام – رضـي اللـه عنـه – فحـدّثه عـن مجلـس جَلَسَـه مـع كعـب الأحبـار ، وأنـــهما تـذاكرا فيـه سـاعة الجمعة ، فقال عبد الله بن سلام : قد علمت أيـة سـاعة هي . قال أبو هريرة : فقلت لـه : فأخبرني بـها . فقال عبد الله بن سلام : هـي آخـر سـاعة مـن يـوم الجمعـة . فقلت : كيف هي آخر ساعة من يوم الجمعة ، وقد قـال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : لا يصادفها عبد مسلم وهو يُصَلِّي . وتلـك السـاعة لا يُصَـلَّى فيهـا ؟ فقال عبد الله بن سلام : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : مَـنْ جلس مجلسا ينتظـر الصـلاة

---

[130] - رواه البخاري .كتاب الدعوات. باب قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت (7/165 ، 166) ومسلم . كتاب الجمعة (2/584) .

[131] - حديث صحيح : رواه الإمام أحمد (5/451) وابن ماجه (2/32) وقال البوصيري : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات على شرط الصحيح . ورواه الضياء في المختارة (9/444) . وقوله : (إنا لنَجِدُ في كتاب الله تعالى) يعني : التوراة . وعبد الله بن سلام كان يهودياً فأسلم فرضي الله عنه وأرضاه .

، فهو في صلاة حتى يُصلي ؟ قال : فقلت : بلى . قـال : هو ذاك [132] .

ثالثاً : عنـد صـعود الخطيـب المنـبر يـوم الجمعـة حـتى تُقضـى الصلاة

وقع الخلاف حول ساعة الجمعة ، وما ذلك إلا لخفائها ، وإخفاؤها لأجل الاجتهاد وطلبها والحرص عليهـا ، كمـا أخفيت ليلة القدر .

عن أبي بُرْدَةَ بنِ أبي مُوسَى الأشعري قال : قال لِـي عَبْدُ الله ابنُ عُمر : أسَمِعْتَ أبَاكَ يُحَدّثُ عن رسـولِ اللـه صلى الله عليه وعلى آله وسلم في شَأْنِ الْجُمُعَةَ – يَعْني السّاعَةَ – ؟ قال : قُلْـتُ : نَعَـمْ سَمِعْتُـهُ يقـولُ : سَـمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقولُ : هِيَ مَا بَيْنَ أنْ يَجْلِسَ الإمامُ إلَى أنْ تُقْضَى الصّلاَةُ . قالَ أبُـو دَاوُدَ : يَعْني عَلى المِنْبَرِ [133] .

وللعلماء كلام حول هذا الحـديث ، ولا يمنـع أن تكـون الساعة قـد قُسِـمتْ بيـن هـذين الوقـتين ، وفضـل اللـه واسع لا حصر له . والله أعلم .

ولكن ينبغي التّنبُّـه إلـى أنـه لا يُشـتغل بالـدعاء حـال الخُطبة ، ولا تُرفعُ الأيدي إلا في الاستسقاء ، أي إذا دعا الإمام يوم الجمعة لطلب سُقيا المطر .

---

[132] **-** حديث صحيح : **رواه أحمد (5/451) وأبو داود (1/274) ومالك في الموطأ (1/109) والترمذي (2/362) والنسائي (3/128) وابن حبان (7/7) والحاكم (1/413) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ورواه البيهقي في الكبرى (3/250) والضياء في المختارة (9/426) .**

وقد أشكل هذا على الشيخ أحمد شاكر في شرحه لجامع الترمذي (2/363) فظنّ أن قول عبد الله بن سلام " في انتظار الصلاة " إنما هو استنباط استنبطه ، ولم يزعمه سماعاً من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ولذلك تأوّل قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأنه ينتظر الصلاة . قال عبد الرحمن – عفا الله عنه – : ليس الأمر كما ذهب إليه – رحمه الله – فقد سبق آنفاً إيراد ما رواه ابن ماجه عنه صريحـاً من قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إن العبد إذا صلى ، ثم جلس لم يجلسه إلا الصلاة ، فهو في صلاة . وكان ذلك أشكل على عبد الله بن سلام أولاً ثم سأل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فبيّن له . والله أعلم .

[133] **- رواه مسلم . كتاب الجمعة (2/584) وأبو داود (1/276) ، وانظر – غير مأمور – صحيح الترغيب والترهيب للألباني (1/369) حاشية (1) .**

رابعاً : جوف الليل الآخر وأدبار الصلوات المكتوبة

عندما تهدأ العيون ، وتغار النجوم ، ويتلذذ أُناس بالنوم على الفُرُش ، فإن أُناساً من المؤمنين يُناجون من لا تأخذه سِنة ولا نوم ، فيستجيب لهم .

فعن أبي أمامة قال : حدثني عَمْرُو بنُ عَبسَةَ أَنّهُ سَمِعَ النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقُولُ : أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرّبّ مِنَ العَبْدِ في جَوْفِ اللّيْلِ الآخِرِ ، فإنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمّنْ يَذْكُرُ الله في تِلْكَ السّاعَةِ فَكُنْ [134] .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : ينزل ربُّنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقي ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فأستجيبَ له ، ومن يسألُني فأعطيَه ، ومن يستغفرني فأغفرَ له [135] .

وفي صحيح مسلم من حديث عن جابر قال : سمعت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة [136] .

وكَانَ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَقُولُ إِذَا قَامَ إِلَى الصّلاَةِ مِنْ جَوْفِ اللّيْلِ : اللّهُمّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ومَنْ فيهِنّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيّامُ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبّ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنّ ، أَنْتَ الْحَقّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقّ ، وَقَوْلُكَ الْحَقّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقّ ، وَالْجَنّةُ حَقّ ، وَالنّارُ حَقّ ، والنّبيّون حقٌّ ، ومحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم حقٌّ ، وَالسّاعَةُ حَقّ . اللّهُمّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدّمْتُ وما أَخّرْتُ ، وما أَسْرَرْتُ

---

[134] **- حديث صحيح : رواه الترمذي (5/569) والنسائي في الكبرى (1/482) وابن خزيمة (2/182) والحاكم (1/453) والطبراني في مسند الشاميين (1/349) وابن عبد البر في التمهيد (4/23) ، وقال : وهو حديث صحيح ، وطرقه كثيرة حسان شامية .**

[135] **- رواه البخاري . كتاب التهجد . باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ...(2/47) ومسلم .كتاب صلاة المسافرين وقصرها (1/521 ، 522) .**

[136] **- كتاب صلاة المسافرين وقصرها (1/521 ، 522) .**

وَأَعْلَنْتُ . أَنْتَ المُقَدِّم وأنت المؤخِّر ، لاَ إِلَهَ إِلاّ أَنْـتَ [137] .

فيُثني على الله – عز وجل – بما هو أهله ثم يـدعوه .

وذلك لما يَعْلَـم – عليـه الصـلاة والسـلام – مـن فضـل الدعاء في جوف الليل ، ولِمَا سيأتي من أن الـدعاء عنـد الاستيقاظ مستجابٌ لمن بات متطهراً .

وخرج المحاملي وغيره من حديث أبي هريرة – رضـي الله عنه – عن النبي صلى اللـه عليـه وعلـى آلـه وسـلم قال : قال الله تعالى : من ذا الـذي دعـاني فلـم أجبـه ، وسألني فلم أعطه ، واسـتغفرني فلـم أغفـر لـه ، وأنـا أرحـم الراحمين [138] .

عَن أبي أُمَامَةَ قال : قِيلَ لرَسُولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أَيّ الدّعَاءِ أَسْمَعُ ؟ قال : جَـوْف اللّيْـلِ الآخِرُ ، وَدُبُرَ الصّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ [139] .

وَدُبُرَ الصّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ : أي قبل السلام كما ثبتـت بذلك الأحاديث .

ففـي حـديث عبـد اللـه بـن مسـعود - وذكـر صفـة التشهد - قـال صـلى اللـه عليـه وعلـى آلـه وسـلم : ثـم ليتخير أحدكم من الدعاء أعجبـه إليـه فيـدعو بـه . وفـي رواية : ثم ليتخيّر من المسألة ما شاء أو مـا أحـب [140] . أي قبل السلام .

خامساً : يومُ عـرفـة

في ذلك الموقف العظيـم يُبـاهي رب العـزة سـبحانه ملائكته بعباده الذين أتوه شُعثاً غُبراً .

---

[137] **- متفق عليه : وفي رواية لهما : (قيّمُ) بدل (قيام) . وتقدم تخريجه (ص 26) .**

[138] **- ذَكَرَه ابن رجب في جامع العلوم والحكم (1/480) ، ومعناه صحيح .**

[139] **-** حديث صحيح : **رواه الترمذي (5/526) و قال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ . وهو كما قال . ورواه النسائي في الكبرى (6/32) وعبد الرزاق في المصنف (2/424) . وله شاهد من حديث عمرو بن عَبَسَة – رضي الله عنه – وسيأتي الحديث وتخريجه .**

[140] **- الرواية الأولى رواها البخاري . كتاب الأذان . باب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد وليس بواجب (1/203) ، والثانية رواها مسلم . كتاب الصلاة (1/302) .**

قـال – عليـه الصـلاة والسـلام – : إن اللـه عـز وجـل يُبـاهي ملائكتـه عشـية عرفــة بأهـل عرفــة ، فيقـول : انظروا إلى عبادي ، أتوني شُعثاً غبراً [141] .

وعَنْ عَمْرِو بـنِ شُـعْيبٍ عَـن أبِيـهِ عَـن جَـدّهِ أنّ النـبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : خَيْرُ الـدّعَاءِ دُعَـاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أنا والنّبِيّونَ مِنْ قَبْلِي : لاَ إلَـهَ إلاّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ المُلْـكُ ، وَلَـهُ الْحَمْـدُ ، وَهُـوَ عَلَى كلّ شَيْءٍ قَديرٌ [142] .

سادساً : ليلة القدر

عَـن عَائِشَـةَ قـالَتْ قُلْـتُ : يـا رَسُـولَ اللـه أَرَأَيْـتَ إِنْ عَلِمْتُ أيّ لَيْلَةٍ لَيْلَة القَدْرِ مَا أقُـولُ فِيهَا ؟ قال : قُولِي : اللّهُمّ إِنّكَ عَفُوّ كريم تُحِبُ العَفْوَ فاعْـفُ عَنّي [143] .

فأرشدها إلـى الـدعاء ، ودلّهـا عليـه فـي تلـك الليلـة المباركة .

ولذا قالت عائشة – رضي الله عنهـا – : لـو علمـت أي ليلة ليلة القدر ، لكان أكثر دعائي فيها أنْ أسـأل العفـو والعافية [144] .

سابعاً : عند الصف في سبيل الله ، وعند الأذان

عنـدما تلتحـم الصـفوف ، وتبلـغ القلـوب الحنـاجر ، ويـذكر المحــبّ حـبيبه ، يـذكر المـؤمن ربّــه ويـدعوه ويتضرعّ إليه .

قال ابن القيم – رحمه اللـه – : مـن أحـب شـيئا أكـثر من ذكره بقلبه ولسانه ، ولهذا أمـر اللـه سـبحانه عبـاده بـذكره علـى جميـع الأحـوال وأمرهـم بـذكره أخـوف مـا

---

141 - حديث صحيح : **رواه الإمام أحمد من حديث عبد الله عمرو بن العاص (2/224) ، ومن حديث أبي هريرة (2/305) .**

142 - حديث حسن بمجموع طُرقه : **رواه الترمذي (5/572) . وله شاهد عن عبد الله بن كريز مرسلا . رواه مالك في الموطأ (1/ 214 ، 422) ومن طريقه البيهقي في الكبرى (4/284) ، (5/117) وقال : هذا مرسل ، وقد روي عن مالك بإسناد آخر موصولا ، ووصله ضعيف . ورواه موصولاً من حديث أبي هريرة في شعب الإيمان (3/462) . قال عبد الرحمن – عفا الله عنه – : وهو حديث حسن بمجموع طُرقـه .**

143 - حديث صحيح : **رواه أحمد (6/258) والترمذي (5/534) وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيحٌ ، والنسائي في الكبرى (4/407) وابن ماجه (4/273) والحاكم (1/712) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجـاه .**

144 - **رواه النسائي في الكبرى (6/218) .**

يكونون فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ)[الأنفال:45] والمُحِبُّون يفتخرون بذكرهم أحبابهم وقت المخاوف وملاقاة الأعداء كما قال قائلهم :

ولقد ذكرتك والرماح كأنها أشطان بئر في لَبان الأدهم

فوددت تقبيل السيوف لأنها بَرَقَتْ كبارق ثغرك المتبسِّم

وفي بعض الآثار الإلهية : إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو ملاقٍ قِرنه . فعلامة المحبة الصادقة ذكر المحبوب عند الرغب والرهب [145] .

فإذا كان الأمر كذلك فإن الداعي وقت التحام الصفوف أقرب ما يكون إلى الإجابة .

روى الإمام مالك عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السّاعِدِيّ أَنهُ قَال : سَاعَتَانِ تُفْتَحُ لَهُمَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَقَلّ دَاعٍ تُرَدّ عَلَيْهِ دَعْوَتُهُ : حَضْرَةُ النّدَاءِ لِلصّلاةِ [146] ، وَالصّفُّ فِي سَبِيلِ اللّهِ [147] .

وعنه – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : ثنتان لا تُردان ، أو قلما تُردّان : الدعاء عند النداء وعند البأس ؛ حين يلحم بعضهم بعضا [148] .

وقد تقدم أن الدعاء عند الأذان لا يُردّ ، وفي الإعادة إفادة .

ثامناً : عند نزول الغيث :

عن سهل بن سعد – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : ثنتان ما تردّان – أو قلّما تردّان – : الدعاء عند النداء ، وتحت المطر [149] .

تاسعاً : أوقات متفرقة

---

[145] **- روضة المحبين (272) باختصار يسير .**

[146] **- يعني الأذان للصلاة .**

[147] **- (1/70) ومن طريقه عبد الرزاق (1/495) وابن أبي شيبة (6/30) البخاري في الأدب المفرد (ص 246 صحيح الأدب) والبيهقي في الكبرى (1/411) ، ورواه مرفوعاً ابن حبان (5/5 إحسان) . ويشهد له ما بعده .**

[148] **-** حديث صحيح : **رواه أبو داود (3/21) والدارمي (1/293) وابن خزيمة (1/219) وابن الجارود في المنتقى (ص 267) والحاكم (1/313)**

عن جـابر بن عبد الله أن النبيّ صلى الله عليه وعلـى آله وسلم دعـا في مسجد الفتح ثلاثاً : يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ، فاستجيب لـه يوم الأربعـاء بيـن الصلاتين ، فعُرف البِشر فـي وجهـه . قـال جـابر : فلـم ينــزل بـي أمـر مهـم غليـظ إلا تـوخّيت تلـك الساعــة ، فأدعـو فيها فأعـرف الإجـابة [150] .

وقد يتهيأ للعبد أكثر من فرصـة لإجابـة الـدعاء ، كـأن يكون مسافراً عصر الجمعـة ، فيجتمـع حـال السـفر مـع سـاعة الإجابــة آخــر النهــار ، وقــد يــدعوا بيــن الأذان والإقامة وهو ساجد يصلي فيجتمع حال السجود مع هـذا الوقت الذي هو مظنة إجابة الدعوة .
وقـد تجتمـع ثلاثُ فُـرص ، كالمسـافر عصـر الجمعـة ويدعوا لأخيه بظهر الغيب وهكذا .

[وأما الأماكن الفاضلة التي يستجاب فيها الدعاء فمنها]

الملتَزَم **وهو بجـوار الحجر الأسود ، وسـمي كـذلك لأن الناس يلتزمونه بصدورهـم وأيديهم ، وهو ما بين الحجـر الأسود إلى باب الكعبة .**
وكان النبي صلى اللـه عليـه وعلـى آلـه وسـلم يُلـزِق صدره ووجهـه بالمُـلتَـزَم [151] .
وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – : المـلـتَــزم مـا بين الركن والباب [152] .

---

[149] - حديث حسن : **رواه الحاكم (2/124) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ومن طريقه أخرجه البيهقي في الكبرى (3/360) وحسّنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (3079) .**

[150] - حديث حسن : **رواه أحمد (3/332) والبخاري في الأدب المفرد (ص 262 صحيح الأدب) وهو حديث حسن كما قال الألباني .**

[151] - **رواه الدارقطني (2/289) والبيهقي في شعب الإيمان (3/457) ، وفي الكبرى (5/164) إلا أنه وقع عنده عمرو بن شعيب عن عكرمة عن جده . وحسّنه الألباني في صحيح الجامع برقم (5012) .**
وقد قوّى الزيلعي في نصب الراية بعض طرق أحاديث الدعاء عند الملتزم .
وانظر – غير مأمور – نصب الراية للزيلعي (3/91) والدراية (2/30 ، 31) والتلخيص الحبير (2/288) كلاهما لابن حجر

[152] - **رواه عبد الرزاق (5/76) و ابن أبي شيبة (3/236) ، ورواه مالك في الموطأ (1/424) بلاغـاً .**

وعنه – رضي الله عنه – أنه كان يَلْزَمُ ما بين الركن والباب ، وكان يقول : ما بين الركن والباب يدعى المُلْتَزَم ، لا يَلْزَم ما بينهما أحد يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه [153] .

وعن مجاهد أنه قال :كانوا يَلْتَزِمُون ما بين الركن والباب ويَدْعُون [154] .

وقال محمد بن عبد الرحمن العبدي : رأيت عكرمة بن خالد ، وأبا جعفر وعكرمة مولى ابن عباس ، يلتزمون ما بين الركن وباب الكعبة [155] .

وعن معمر أنه قال : رأيت أيوب يُلصق بالبيت صدره ويديه [156] .

وعنه عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان يلصق بالبيت صدره ويده وبطنه [157] .

وأما التعلق بأستار الكعبة من غير تمسح أو طلب تبرّك فلا حرج فيه ، وكان التعلّق معروفاً ، وهو يدلّ على اللجوء والاستعاذة بالله .

وقد روى البخاري ومسلم عن أنس – رضي الله عنه – أنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه على آله وسلم عام الفتح وعلى رأسه المغفر ، فلما نزعه جاء رجل فقال : إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة ! فقال : اقتلوه [158] .

وذلك أنه قتل رجلاً من الأنصار ثم ارتد ولحق بالمشركين [159]

وقال – عليه الصلاة والسلام – في أربعة نفر : اقتلوهم وأن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة [160]

153- رواه البيهقي في الكبرى (5/164)

154- رواه ابن أبي شيبة (3/236) .

155- رواه ابن أبي شيبة (3/236) .

156- رواه عبد الرزاق (5/74) .

157 - رواه عبد الرزاق (5/76) .

158 - البخاري .كتاب الجهاد والسير. باب قتل الأسير وقتل الصبر (4/28) وفي مواضع أُخر ، ومسلم .كتاب الحج (2/989)

159 - يُنظر لذلك التمهيد لابن عبد البر (6/167) .

160 - رواه النسائي (7/105) والضياء في المختارة (3/248) والحاكم (2/62) وابن أبي شيبة (7/404) والدراقطني (3/59) وابن عبد البر (6/176)

مما يدلّ على أن التّ‘لّق بأستار الكعبة له أصل ، وكان معروفاً ، ولم يُنكره النبي صلى الله عليه على آله وسلم .

إلا أنه لا يُتعلّق بأستار الكعبة تبركاً .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : ولما كانت الكعبة بيت الله الذي يُدعى ويُذكر عنده ، فإنه سبحانه يستجار به هناك ، وقد يُستمسك بأستار الكعبة [161] **.**

ومن الأماكن أيضا :

المسجد الحرام على وجه الخصوص ، ومكة على وجه العموم .

مكة – شرّفها الله وحرسها – هي البلد الأمين ، وفيها بيت الله ، ولذا تُضاعف الحسنات في الحرم [162] **، وتعظم السيئات فيه.**

وكانت قريش تُعظِّم البيت والدعاء عنده .

ولذا لما صلّى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عند البيت ، وأبو جهل وأصحاب له جلوس إذ قال بعضهم لبعض : أيكم يجيء بِسَلَى جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم [163] **فجاء به فنظر حتى إذا سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه على ظهره بين كتفيه . قال ابن مسعود : وأنا أنظر لا أغني شيئا لو كانت لي مَنَعَة . قال : فجعلوا يضحكون ويحيل** [164] **بعضهم على بعض ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساجد لا يرفع رأسه ، حتى جاءته فاطمة فطرحت عن ظهره فرفع رأسه ثم**

---

[161] - مجموع الفتاوى (15/227) .

[162] - وأقصد بـ " الحَرَم " هنا ما كان داخل حدود الحرم ، فهو الذي تُضاعف الصلاة فيه ، وقد بسط الأدلة فيها وناقشها فضيلة الشيخ د . إبراهيم الصبيحي – حفظه الله – في كتابه " المسائل المُشكِلة من مناسك الحج والعمرة " ص 100 وما بعدها .

[163] - هو عقبة بن أبي مُعيط - لعنه الله - .

[164] - قال الحافظ ابن حجر في الفتح (1/417) : " ويُحيل بعضهم " كذا هنا بالمهملة من الإحالة ، والمراد أن بعضهم ينسب فعل ذلك إلى بعض بالإشارة تهكما ، ويحتمل أن يكون من حال يَحيل بالفتح إذا وثب على ظهر دابته ، أي يثب بعضهم على بعض من المرح والبطر ، ولمسلم من رواية زكريا " ويَميل " بالميم ، أي من كثرة الضحك ، وكذا للمصنف من رواية إسرائيل .

قال : اللهم عليك بقريش – ثلاث مـرات – فشـقّ عليهـم إذ دعا عليهم . قال : وكانوا يَـرون أن الـدعوة فـي ذلـك البلد مستجابة [165] . ثم سمّى : اللهم عليـك بـأبي جهـل وعليك بعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بـن عتبـة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط – وعد السابع فلم نحفظه – قال ابن مسـعود : فوالـذي نفسـي بيـده لقـد رأيت الذين عد رسول الله صلى الله عليه وسلم صرعى في القليب قليب بدر [166] .

قال الحافظ ابن حجر – رحمه اللـه – : وفـي الحـديث تعظيـم الدعـاء بمكـة عنـد الكفـار ، ومـا ازدادت عنـد المسـلمين إلاّ تعظيمـاً ، وفيـه معرفـة الكفـار بِصِدْقِـه صلى الله عليه وسلم لخوفهم من دعائه ، ولكن حملهـم الحسد على ترك الانقياد له [167] .

وأمـا بقيـة المسـاجد فللأحـاديث الـواردة فـي فضـل الدعاء بين الأذان والإقامة ، والغالب فـي حـال المسـلم أنه يكون في المسجد في هذا الوقت .

والذي يظهر أن الوقت والمكـان اجتمعـا فـي الـدعاء بين الأذان والإقامة . والله أعلم .

ومن الأماكن التي يُستجاب فيها الدعاء : الصفا والمـروة حـال السّعي .

فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لمـا فـرغ من طوافه أتى الصفا فَعَلا عليه حتى نظر إلـى الـبيت ، ورفع يديه فجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يـدعو [168] .

وكان عمر – رضي الله عنه – إذا صعد الصفا استقبل البيت ، ثم كبر ثلاثـا ، ثـم قـال : لا إلـه إلا اللـه وحـده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير

---

[165] - قال الحافظ ابن حجر في الفتح (1/418) : ويمكن أن يكون ذلك مما بقي عندهم من شريعة إبراهيم عليه السلام .

[166] - رواه البخاري . كتاب الوضوء . باب إذا ألقي على ظهر المصلي قذر أو جيفة لم تفسد عليه صلاته ... (1/65) .

[167] - فتح الباري (1/419)

[168] - رواه مسلم . كتاب الجهاد والسير (3/1406) .

، يرفع بـها صوته ، ثم يدعو قليلا ، ثم يفعـل ذلـك علـى المروة حتى يفعل ذلك سبع مرات [169] .

قال ابن عبد البر : وفيه - أي حديث جابر- أن الصفـا والمروة موضع دعـاء تُـرجى فيه الإجـابة [170] .

بالإضـافة إلـى عرفـة فإنـها مـن المـواطن الـتي يستجاب فيها الدعـاء ، فهي جمعت بين الزمان والمكان .

وكذلك عند المشعر الحرام بعد صلاة الفجر ليلـة عيـد الأضحى لمن كان حاجاً ، كما مـرّ فـي حـديث جـابرِ بـنِ عبدِ اللّهِ – رضي الله عنهمـا –قـال : ثُـمّ ركـبَ القصـواءَ حتّى وقـفَ علـى المَشـعرِ الحـرامِ ، واسـتقبلَ القبلـةَ ، فدعا اللّهَ ، وكبّرَهُ ، وهلّلَهُ ، ووحّـدَهُ ، حـتى أسـفر جـداً [171]

وبعد رمـي الجمـرات عـدا جمـرة العقبـة ، كمـا كـان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يفعله ، فقد كـان يقـوم بعـد الجمـرة الصـغرى والوسـطى قيامـاً طـويلاً فيدعـو ، كما حكـاه عنه ابن عمـر – رضـي اللـه عنهمـا – [172] .

وأما الأحوال التي يُستجاب فيها الدعاء فمنها :

1 ـ دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب

عن صفوان بن عبـد اللـه بـن صـفوان قـال : قـدمت الشام فأتيت أبا الدرداء في منـزله فلم أجده ووجدت أم الـدرداء ، فقـالت : أتريـد الحـج العـام ؟ فقلـت : نعـم . قالت : فادع الله لنا بخير ، فإن النـبي صـلى اللـه عليـه وعلى آله وسلم كان يقول : دعوة المرء المسـلم لأخيـه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملكٌ موكّـل كلمـا دعـا لأخيه بخير ، قال الملـك الموكـل بـه : آميـن ولـك بمثـل .قال : فخرجت إلى السوق ، فلقيـت أبـا الـدرداء فقـال

---

169 - رواه ابن أبي شيبة (6/82) .

170 - التمهـيد (2/91) .

171 - تقدم تخريج الحديث (ص 21) .

172 - رواه البخاري في كتاب الحج . باب من رمى جمرة العقبة ، ولم يقف ... (2/623) .

لي مثل ذلك يرويه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم [173] .

وهل رأيت أفضل من أن يؤمِّن على دعائك من لم يعص الله طرفة عين – أي الملَك – فأنت المستفيد على كل حال ، يوكّل بك ملك كلما دعوت لأخيك قال : آمين ولك بمثل .

وفي هذا الحديث إشارة إلى طلب الدعاء من الآخرين ، وأنه كان معروفاً خلافاً لمن كرهه [174]

2 ـ حال السفر

3 ـ دعوة الوالد لولده ، وعلى ولده

4 ـ دعوة المظلوم

وهذه الثلاث جمعها حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أَنّ النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : ثَلاَثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ لاَ شَكَّ فِيهِنّ : دَعْوَةُ الْوَالِدِ على ولده ، وَدَعْوَةُ المُسَافِرِ وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ [175] .

وفي حديث عقبة بن عامر الجهني – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ثلاثة تُستجاب دعوتهم : المسافر والوالد والمظلوم [176] .

وعند ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قال : قالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ثَلاَثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنّ لاَ شَكّ فِيهِنّ : دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ [177] .

فعُلِم بذلك أن دعوة الوالد مستجابة سواءً كانت على ولده أو لِوَلَدِهِ .

---

[173] **- رواه مسلم . كتاب الذِّكر والدعاء والتوبة والاستغفار (4/2094) .**

[174] **- وقد تقدّم هذا المعنى في طلب أبي عامر وأبي موسى – رضي الله عنهما – من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الدعاء . وأما حديث : لا تنسنا يا أخيّ من دعائك . فهو ضعيف . انظر ضعيف الجامع الصغير (برقم 6278)**

[175] **-** حديث صحيح : **رواه أحمد (2/517) وأبو داود (2/89) والترمذي (4/314) وابن حبان (6/416 إحسان) .**

[176] **-** حديث حسن : **رواه أحمد (4/154) وابن خزيمة (4/113) .**

[177] **- (4/281) ورواه أبو داود الطيالسي (4/251) وإسناده ضعيف كما بينه الدكتور محمد التركي – حفظه الله – في تحقيقه لمسند أبي داود الطيالسي – الموضع السابق – وتشهد له الأحاديث السابقة واللاحقة .**

وقد نُهينا أن ندعو على أولادنا خشية أن تُوافِق تلك الدعوة ساعة إجابة ، فيُستجاب دعاء الوالد أو الوالدة على الولد (الذكر والأنثى) .

أخرج مسلم في صحيحه عن جَابِرِ بن عَبْدِ الله – رضي الله عنه – قال: قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم : لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلا تَدْعُوا عَلَى أَوْلاَدِكُمْ ، وَلا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ ، لا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسأل فيها عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيب لَكُمْ [178] .

ولما بَعَثَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم معاذاً إلى اليمن حذّره دعوة المظلوم فقال : واتّقِ دَعوةَ المظلومِ ، فإنه ليس بينَهُ وبينَ اللهِ حِجابٌ [179] .

وفي حديث أَبي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قال : قال رسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثَلاَثَةٌ لا تُرَدّ دَعْوَتُهُمْ - وذكر منهم - : وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ يَرْفَعُهَا الله فَوْقَ الغَمَام ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السّمَاءِ ، ويَقُولُ الرّبّ وعِزّتِي لأنُصُرَنّك وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ [180] .

وحذّر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من دعوة المظلوم ، وأخبر عن سرعة صعودها ، مما يُشعر بسرعة استجابتها .

فقال – عليه الصلاة والسلام – : اتقوا دعوة المظلوم ؛ فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرار [181]

وقال أبو الدرداء – رضي الله عنه – : إعمل لله كأنك تراه ، واعدد نفسك مع الموتى ، وإياك ودعوات المظلوم ؛ فإنهن يصعدن إلى الله عز وجل كأنهن شرارات نار [182]

---

178 - كتاب الزهد والرقائق (4/2304) .

179 - رواه البخاري .كتاب الزكاة . باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا (2/136) ومسلم .كتاب الإيمان (1/50) .

180 - حديث صحيح لغيره : رواه أحمد (2/445) والترمذي (4/672) . وابن ماجه (2/349) وابن خزيمة (3/199) وابن حبان (3/158 إحسان) .

181 - رواه الحاكم (1/83) وقال الألباني : صحيح على شرط مسلم (الصحيحة (2/528) ح 871

182 - رواه البيهقي في شعب الإيمان (7/382) .

كما حذّر من دعوة المظلوم وإن كـان كـافراً فقـال : اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً ؛ فإنه ليس دونــها حجاب [183] .

وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا سـافر يتعـوذ مـن : وعثـاء السـفر ، وكآبـة المنقلـب ، والحَـوْرِ بعد الكـون ، ودعـوة المظلـوم ، وسـوء المنظـر في الأَهل والمال [184] .

ودعـوة المظلـوم تسـري فـي جـوف الليـل ، فينـام الظالم والمظلوم لم يَـنم ، يرفع يديه ويستنـزل عقوبـة الله على من ظَلَمَه .

قال ابنٌ ليحيى البرمكي - وهم في السجن والقيود - : يا أبتِ بعد الأمر والنهي والنعمة صرنا إلى هـذا الحـال ؟! فقال : يا بنى دعوة مظلوم سَرَتْ بليـل ونحـن عنهـا غافلون ولم يغفل الله عنها ، ثم أنشأ يقول :

رب قوم قد غَدَوا في نعمةٍ زمناً والدهرُ ريانُ غَدَق

سَكَتَ الدهرُ زمانا عنهمُ ثم أبكاهم دما حين نَطَق [185]

5 ـ حـال الاضطرار

قال سبحانه : (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) [النمل : 62]

وذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق قصة رجل لـه بَغْلٌ يُكريه من دمشق إلى بلد الزبداني ، ويَحمل عليه النـاس .قال : فركب معي ذات مرة رجل ، فمررنـا علـى بعـض الطريق على طريق مسلوكة ، فقال لي : خـذ فـي هـذه فإنها أقرب . فقلت : لا خبرة لي فيها . فقال : بل هـي أقرب ، فسلكناها فانتهينا إلى مكان وعـر ، وواد عميـق ، وفيه قتلى ، فقال لي : أمسك رأس البغل حتى أنـزل

---

[183] - تقدّم تخرجه (ص 8) من هذا البحث .

[184] - رواه مسلم من حديث عبد اله بن سرجس . كتاب الحج (2/979) . و " الحور بعد الكون " ضُبِطَتْ أيضا : الحَور بعد الكَور . وانظر – غير مامور – تعليق محمد فؤاد عبد الباقي علي الحديث (صحيح مسلم – الموضع السابق)

[185] - المنتظم لابن الجوزي (9/192) والبداية والنهاية لابن كثير (13/679)

فنـــزل وتشـمّر وجمـع عليـه ثيـابه وسـل سـكيناً معـه ، وقصدني ، ففرت من بين يديه وتبعني ، فناشدته اللـه ، وقلت : خذ البغل بما عليه ، فقال : هو لي ، وإنمـا أريـد قتلك ! فخوّفته الله والعقوبة ، فلـم يقبـل فاستسـلمت بيـن يـديه ، وقلـت : إن رأيـت أن تـتركني حـتى أصـلي ركعـتين ، فقـال : عجِّـل ، فقمـت أصـلي فارتـج علـيّ القرآن فلم يحضرني منـه حـرف واحـد ، فبقيـت واقفـاً متحيراً ، وهو يقـول : هيـه ! افـرغ ، فـأجرى اللـه علـى لسـاني قـوله تعـالى : (أَمَّـن يُجِيـبُ الْمُضْـطَرَّ إِذَا دَعَـاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) [النمل : 62]فإذا أنا بفارس قد أقبل مـن فـم الـوادي وبيـده حربـة ، فرمـى بهـا الرجـل فمـا أخطأت فؤاده ، فَخَرّ صريعاً ، فتعلقت بالفارس ، وقلـت : بالله من أنت ؟ فقال : أنا رسول الذي يجيب المضـطر إذا دعاه ويكشف السوء [186] **.**

وإنما تحصلُ إجابةُ دعوةِ المضطر لأنه يُخلِص في تلك الحال – حـال الاضطرار – ولـوكان مشركا [187] **.**

6 ـ الصّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ

حين يُفطر الصائم يفرح بإكمال صـيام يـوم ، وبتمـام طاعته لِربِّـه .

قال عَبْدِ اللّهِ بْـنِ أَبِـي مُلَيْكَـةَ : سَـمِعْتُ عَبْـدَ اللّـهِ بْـنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وعلَى آله وسلم : إِنّ لِلصّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً مَـا تُــرَدّ [188] **.**

---

[186] **- (68/251) وروى اللالكائي في كرامات الأولياء (مج 5 جـ 9/166) في كرامات أبي معلق – رضي الله عنه – قصة شبيهة بـهذه القصة مع اختلاف في الدعاء ، وذكره ابن حجر في الإصابة (7/313) في ترجمة أبي معلق ، ونسب القصة إلى ابن أبي الدنيا في مجابي الدعوة .**

[187] **- انظر – غير مأمور – (ص 7 ، 8 ، 46) من هذا البحث .**

[188] **-** حديث حسن : **رواه ابن ماجه (2/350) .**

وقال البوصيري – في الزوائد – : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات . ورواه الحاكم (1/583) وقال : إسحاق هذا إن كان ابن عبد الله مولى زائدة ، فقد خرّج عنه مسلم ، وإن كان بن أبي فروة فإنهما لم يخرجاه .

=

= قال عبد الرحمن – عفا الله عنه – : ليس هذا ولا ذاك ، فقد ورد اسم ابيه مُصغّراً في رواية ابن ماجه ، ورجّـح ابن حجر في التقريب (ص 130) أن الذي أخرج لـه ابن ماجه هو : إسحاق بن عبيد الله بن أبي المهاجر ، وهو مقبول . وساق ابن حجر في التهذيب (1/216) هذا

قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللّهِ بْـنَ عَمْـرٍو يَقُـولُ إِذَا أَفْطَـرَ : اللّهُمّ إِنّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الّتِي وَسِعَتْ كُلّ شَـيْءٍ أَنْ تَغْفِرَ لِي [189]

وفي حديث أَبي هُرَيْرَةَ - المتقدِّم - قالَ : قالَ رَسُولُ اللـه صـلى اللـه عليـه وعلـى آلـه وسـلم : ثَلاَثَـةٌ لا تُـرَدّ دَعْوَتُهُمْ : - وذكر منهم - الصّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ [190]

قال نافع : قال ابن عمر : كان يُقـال إن لكـل مـؤمن دعوة مستجابة عند إفطاره ، إما أن يُعجل له في دنياه ، أو يُدّخر له في آخرته . قـال : فكـان ابـن عمـر – رضـي الله عنهمـا – يقـول عنـد إفطـاره : يـا واسـع المغفـرة اغفر لي [191] **.**

7 ـ حـال السجود

عندما يخرّ المصلّي سـاجداً فـإنه يضـع أشـرف مكـان فيه وأعلاه على الأرض ، خاضعاً ذليلاً بيـن يـدي مـولاه ، فيكون أقرب ما يكون إلى ربِّـه تبارك وتعالى .

قال رسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسـلم : أَلاَ وَإِنّـي نُهِيـتُ أَنْ أَقْـرَأَ الْقُـرْآنَ رَاكِعـاً أَوْ سَـاجِداً ، وأَمّـا الرّكُـوعُ فَعَظّمُـوا فِيـهِ الـرّبّ عَـزّ وَجَـلّ ، وأَمّـا السّـجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدّعَـاءِ ، فَقَمِـنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ [192] **.**

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وعلـى آله وسلم قـال : أَقْـرَبُ مَـا يَكُـونُ الْعَبْـدُ مِـنْ رَبّـهِ وَهُـوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدّعَاءَ [193] **.**

الحديث في ترجمته ، والحديث رواه البيهقي في شعب الإيمان (3/407) .
وللحديث شاهد من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رواه البيهقي في شعب الإيمان (3/408) .

[189] **- سنن ابن ماجـه (2/350) .**

[190] **- سَبَقَ تخريجه (ص 46) حاشية (172)**

[191] **- رواه البيهقي في شعب الإيمان (3/407) .**

[192] **- رواه مسلم . كتاب الصلاة (1/348) . ومعنى قمن : أي حريٌ وجدير وقريب .**

[193] **- رواه مسلم . الموضع السابق (1/3508) .**

ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول في سجوده : اللهم اغفر لي ذنبي كلّه ، دِقَّهُ وجِلَّهُ ، وأولَه وآخرَه ، وعلانيتَه وسرَّه [194] .

قال مسروق : ما من حال أحرى أن يستجاب لعبد فيه إلا أن يكون في سبيل الله ، من أن يكون عافراً وجهه ساجداً [195] .

8 ـ حال البيتوتة على طهارة

لا يُحافظ على الوضوء إلا مؤمن ، ومَن بات طاهراً فقد اقتدى بسيد الأنام عليه الصلاة والسلام .

عن عُبادةُ بنُ الصامِتِ – رضي الله عنه – عنِ النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : مَن تَعارّ منَ الليلِ فقال : لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَهُ لا شريكَ له ، له المُلكُ ، وله الحمدُ ، وهوَ على كلّ شيءٍ قدير . الحمدُ للّهِ ، وسبحان الله ، ولا إلهَ إلا اللّهُ واللّهُ أكبرُ ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلاّ باللّهِ ثم قال : اللهمّ اغفِرْ لي ، أو دَعا استُجيبَ له فإنْ توضّأَ قبلَتْ صلاتُه [196] .

وعَن أبي أُمَامَةَ البَاهِلِيّ – رضي الله عنه – قال : سَمِعْتُ رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقُولُ : مَنْ أَوَى إِلى فِرَاشِهِ طَاهراً بَذْكُرُ الله حَتّى يُدْرِكَهُ النّعَاسُ ، لَمْ يَنْقَلِبْ سَاعَةً مِنَ اللّيْلِ يَسْأَلُ الله شَيْئاً مِنْ خَيْرِ الدّنْيَا والآخِرَةِ إلاّ أَعْطاهُ الله إيّاهُ [197] .

وفي هذا الحديث قيدٌ مهم ، وهو البيات على طهارة تامة من الحدث الأصغر والأكبر .

---

[194] **- رواه مسلم . الموضع السابق نفسه .**

[195] **- رواه ابن أبي شيبة (2/159) .**

[196] **- رواه البخاري . كتاب التهجد . باب فضل من تعار من الليل فَصَلّى (2/49) . ومعنى تعار : أي استيقظ وتقلب .**

[197] **- رواه الترمذي (5/540) وقال : حسن غريب ، وقد روي هذا أيضا عن شهر بن حوشب عن أبي ظبية عن عمرو بن عبسة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .**
ورواه الطبراني في الكبير (8/125) من طريق شهر عن أبي أمامة مرفوعاً .
= قال عبد الرحمن – عفا الله عنه – : الطريق التي أشار إليها الترمذي – حديث عمرو بن عبسة – رواها الطبراني في الكبير (8/12) والطحاوي في شرح معاني الآثار (1/87) ومدار إسنادها على أبي ظبية ، وهو مقبول ، وشهر بن حوشب فيه مقال ، وله شاهد من حديث معاذ – وهو الآتي بعده – .

وعن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَبيتُ عَلَى ذِكْرٍ طَاهِراً فَيَتَعَارّ مِنَ اللّيْلِ ، فَيَسْأَلُ اللهَ خَيْراً مِنَ الدّنْيَا وَالآخِرَةِ إلاّ أَعْطَاهُ إيّاهُ [198] .

قال ثَابِتٌ الْبُنَانِيّ: قدِمَ عَلَيْنَا أَبُو ظَبِيةَ ، فحدّثَنَا بِهَذَا الْحَدِيثِ عن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ عن النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم . قال ثَابِتٌ : قال فلاَنٌ : لقَدْ جَهَدْتُ أَنْ أَقُولَهَا حِينَ أَنْبَعِثُ ، فَمَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا [199] .

فاسْأل الله العونَ والتوفيق في كلِّ أمورِك .

9 ـ عند ختم القرآن :

لكلّ عامل أُجرة عند خِتام عمله ، وقارئ القرآن له أُجرة مُعجّلة في الدنيا ، وهي دعوة مستجابة عند ختم القرآن ، مع ما يدّخر الله له يوم القيامة .

ولذا كان أنس إذا ختم القرآن جمع ولده وأهل بيته فدعا لهم [200] .

---

[198] **- رواه أحمد (5/234) أبو داود (4/310) والنسائي في الكبرى (6/201) وفي عمل اليوم والليلة (1/469) وابن ماجه (4/290) وعبد بن حميد (ص 73) والبزار (7/120) كلهم رووه عن شهر عن أبي ظبية عن معاذ به . وهو الحديث الآتي بعد هذا الحديث . ورواه أحمد (5/241) عن عفان عن حماد بن سلمة قال : كنت أنا وعاصم بن بهدلة وثابت ، فحدّث عاصم عن شهر بن حوشب عن أبي ظبية عن معاذ بن جبل – فَذَكَرَه – فقال ثابت : قدم علينا فحدثنا هذا الحديث ، ولا أعلمه إلا يعنى أبا ظبية . قلت لحماد : عن معاذ ؟ قال : عن معاذ .**
وهذه متابعة قوية ، فقد تابَعَ ثابت البناني شهر بن حوشب عليه ، فيكون ثابت رواه عن أبي ظبية عن معاذ .
ورواه ابن أبي شيبة (1/111) عن شهر عن أبي أمامة موقوفاً . فلعل الحديث يرتقي إلى رتبة الحسن لغيره – إن شاء الله – .
ويشهد لبعضهه حديث ابن عمر مرفوعاً : من بات طاهراً بات في شعاره ملك ، فلم يستيقظ إلا قال الملك : اللهم اغفر لعبدك فلان فإنه بات طاهراً . رواه ابن حبان (3/328 إحسان) وابن المبارك في الزهد (ص 441) والبيهقي في شعب الإيمان (3/28) وهو في صحيح الترغيب والترهيب برقم (594) .

[199] **- رواه أبو داود (4/310) .**

[200] **- رواه عنه الدارمي (2/560) وابن أبي شيبة (6/128) وسعيد بن منصور (1/140) والطبراني في الكبير (1/242) والبيهقي في شعب الإيمان (2/368) وقال : هذا هو الصحيح موقوف ، وقد روي من وجه آخر عن قتادة عن أنس مرفوعا وليس بشيء .**
ورواه من طريق ثانية ، وفي إسناده أبو عصمة نوح الجامع ، وقد كذّبوه ، ورواه القرطبي في التفسير (1/30) موقوفاً على أنس

وجاء عنه أنه إذا أشفى على ختم القرآن بالليل بقى منه شيئا حتى يصبح ، فيجمع أهله فيختمه معهم [201] .

قال قتادة :كان رجل يقرأ في مسجد المدينة وكان ابن عباس قد وضع عليه الرَّصَد فإذا كان يوم ختمه قام فتحول إليه .

وكان عبدالله بن المبارك يعجبه إذا ختم القرآن أن يكون دعاؤه في السجود .

وكان إذا ختم القرآن أكثر دعاءه للمؤمنين والمؤمنات [202]

والاجتماع من أجل الدعاء عند ختم القرآن كان معروفاً عند السلف ، فقد جاء عن الحكم قال :كان مجاهد وعبدة بن أبي لبابة وناس يعرضون المصاحف ، فلما كان اليوم الذي أرادوا أن يختموا أرسلوا إليّ وإلى سلمة بن كهيل فقالوا : إنا كُنّا نعرض المصاحف فأردنا أن نختم اليوم ، فأحببنا أن تشهدونا . إنه كان يقال : إذا خُتم القرآن نزلت الرحمة عند خاتمته [203] .

وروى الحكم عن مجاهد قال : بَعَثَ إليّ قال : إنما دعوناك إنا أردنا أن نختم القرآن ، وإنه بلغنا أن الدعاء يستجاب عند ختم القرآن . قال : فدعوا بدعوات [204]

وللشيخ الفاضل بكر أبو زيد رسالة بعنوان (مرويات دعاء القنوت) وبحثت عنه فلم أجده ، وأذكر أنه جمع ما في المسألة من أحاديث ورجّح صحة الموقوف .

قال عبد الرحمن – عفا الله عنه – : وقد رواه الطبراني في الكبير (18/259) من حديث العرباض بن سارية مرفوعاً بلفظ : من صلى صلاة فريضة فله دعوة مستجابة ، ومن ختم القرآن فله دعوة مستجابة .

قال الهيثمي في المجمع (7/172) : رواه الطبراني وفيه عبدالحميد بن سليمان وهو ضعيف .

قال عبد الرحمن – عفا الله عنه – : وهو كما قال .

وخلاصة القول أن الحديث صحّ وقْفه على أنس ، ولم يصحّ رفعه، والعمل على هذا عند السلف . والله أعلم .

[201] - رواه الدارمي ، والأثر الآتي بعده عن ابن عباس عنده في الموضع نفسه .

[202] - رواه البيهقي في شعب الإيمان (2/374، 411) وكذا الأثر الذي قبله عن ابن المبارك – رحمه الله – .

[203] - رواه ابن أبي شيبة (6/128) والبيهقي في شعب الإيمان (2/374) .

[204] - رواه الدارمي (2/561) والبيهقي في شعب الإيمان (2/374) .

قال القرطبي : ويستحب له إذا ختم القرآن أن يجمع أهله [205]

[205] **- التفسير (1/30)**

خامساً : أدعية مأثورة ، ودعوات مستجابة

عن أَنَسٍ – رضي الله عنه – أَنّهُ كَـانَ مـع رَسُـولِ اللـه صلى الله عليه وعلى آله وسـلم جَالسـاً وَرَجُـلٌ يُصَـلّي ، ثُمّ دَعَا : اللّهُمّ إِنّي أَسْأَلُكَ بِأَنّ لَكَ الْحَمْـدُ لا إِلَـهَ إِلاّ أَنْـتَ المنّـانُ بَـدِيعُ السّـمَاواتِ وَالأَرْضِ يَـاذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْـرَامِ يَاحَـيُّ يَاقَيّومُ . فَقَالَ النّبيّ صلى اللـه عليـه وعلـى آلـه وسلم : لَقَدْ دَعَـا اللهَ باسْمِهِ العَظِيـمِ الّـذِي إِذَا دُعِـيَ بِـهِ أَجَابَ ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى [206] .

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن النـبي صـلى اللـه عليه وعلـى آلـه وسـلم سـمع رجلاً يقـول : اللهـم إنـي أسألك بأني أشهد أنـك أنـت اللـه لا إلـه إلا أنـت الواحـد الأحد الصمد . فقال : لقـد سـألت اللـه باسـمه الأعظـم الذي إذا دُعِيَ به أجاب ، وإذا سُئل به أعطى [207] .

وعن أبي أمامة مرفوعا : اسم الله الأعظـم الـذي إذا دعي به أجـاب فـي سـور ثلاث : البقـرة ، وآل عمـران ، وطـه [208] .

قال القاسم بن عبد الرحمن : فالتمستها فـإذا هـي : (الْحَيُّ الْقَيُّومُ)

وقـرأ رجل عند عبد الله بن مسعود – رضي اللـه عنـه – البقرة وآل عمـران ، فقـال : قـرأتَ سـورتين فيهمـا اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِـيَ به أجاب ، وإذا سئل بـه أعطـى [209]

---

[206] - حديث صحيح : رواه أحمد (3/120) وأبو داود (2/79) والترمذي (5/550) والنسائي (3/52) وابن ماجـه (2/277) والحاكم (1/683) وابن حبان (3/175 إحسان) .

[207] - حديث صحيح : رواه أحمد (5/360) أبو داود (2/79) والترمذي (5/515) والنسائي في الكبرى (4/394) وابن ماجه (2/276) والحاكم (1/683) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، وابن حبان (3/174 إحسان) .

[208] - حديث حسن : رواه ابن ماجـه (4/276) والحاكم (1/684 -686) والطبراني في الأوسط (8/192) وفي الكبير (8/237) وفي مسند الشاميين (1/441) .
والقاسم بن عبد الرحمن هو صاحب أبي أمامة – رضي الله عنه – وهو الراوي عنه .

[209] - رواه الدارمي (2/543) .

وفي حديث أسماء بنت يزيد أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين : (وَإِلَـهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) وفاتحة آل عمران : (اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) [210] .

وعن أبي الدرداء وابن عباس أنهما كانا يقولان : اسم الله الأكبر : رب رب [211] .

وقال ابن وهب سُئل مالك عن الداعي يقول : يا سيدي ؟ فقال : يُعجبني دعاء الأنبياء : ربنا ربنا [212] .

وصحّ عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : ألِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام [213]

قال ابن الأثير : معنى ألِظوا : إلزموه ، واثبتوا عليه ، وأكثروا من قوله والتلفظ به .

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : قلما كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه : اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تُهون به علينا مصيبات الدنيا ، ومتّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا وأجعله الوارث مِنّا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا

---

[210] - رواه أحمد (6/461) وأبو داود (2/80) والترمذي (5/517) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجه (2/1267) والدارمي (2/542) وفي إسناده شهر بن حوشب وفيه كلام ، لكن يشهد له حديث أبي أمامة المتقدّم .

[211] - رواه ابن أبي شيبة (6/47 ، 7/233) والحاكم (1/684) .

[212] - سير أعلام النبلاء (8/97) .

[213] - حديث صحيح : رواه من حديث ربيعة بن عامر : أحمد (4/177) والنسائي في الكبرى (4/409) والحاكم (1/676) وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .
ومن حديث أنس : الترمذي (5/539) والضياء في المختارة (6/81) وحسّن إسناده .
وقال الألباني : صحيح . يُنظر صحيح الجامع الصغير (برقم 1250) .
وأما قول ابن الأثير فقد تقدم . وانظر – غير مأمور – (ص 13) من هذا البحث .

في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا ، ولا مبلـغ علمنـا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا [214] **.**

[214] - حديث حسن : **رواه الترمذي (5/528) والنسائي في الكبرى (6/106) والحاكم (1/709) .**
وقع في رواية الترمذي : اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك . " يَحُول " بالياء .
وفي رواية النسائي : اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول بيننا وبين معاصيك . " تَحُول " بالتاء .

سادساً : موانع إجابة الدعاء

إذا أتى الداعي بآداب الدعاء ، وتحرّى مواطن الإجابة حالاً وزماناً ومكاناً ، فعليه التخلّص والابتعاد عما يمنع إجابة الدعاء .
وأما موانع الدعاء فـ :

أولاً : أكلُ الحرام - أجارك الله -
فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أَيّهَا النّاسُ إِنّ اللّهَ طَيّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاّ طَيّباً ، وَإِنّ اللّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ ، فَقَال : (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) [المؤمنون : 51] ، وقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) [البقرة : 172] ثُمّ ذَكَرَ الرّجُل يُطِيلُ السّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ، يَمُدّ يَدَيْهِ إِلَى السّمَاءِ ، يَا رَبّ يَا رَبّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنّى يُسْتَجَابُ لِذَلِك ؟ [215]
فكم جمع هذا المثال من آداب وأحوال يُستجاب معها الدعاء ؟
فهو يُطِيلُ السّفَرَ ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ .
يمدّ يَدَيْهِ إِلَى السّمَاءِ .
يَا رَبّ يَا رَبّ [تكرار الدعاء]
ومع ذلك بعيدٌ كل البعد أن يستجاب له ، أو يُسمع دعاؤه .

والسبب : الحرام فـ
1 - مَطْعَمُهُ حَرَامٌ
2 - وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ
3 - وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ
4 - وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ
فكيف يُستجاب لمن جمع تلك البليّات ؟!

---

[215] **- كتاب الزكاة (2/703) .**

وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يستعيذ بالله من دعوةٍ لا يُستجابُ لها [216]

ثانياً : استعجال الإجابة وترك الدعاء

أخبر الله – عز وجل – عن طبيعة الإنسان فقال : (خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ)[الأنبياء : 37]

وقال – جل جلاله – : (وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً) [الإسراء : 11] .

والدّاعي قد تغلبه هذه الطبيعة البشرية فيترك الدعاء .

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : لاَ يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ . قِيل : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الاِسْتِعْجَالُ ؟ قَال : يَقُولُ : قَدْ دَعَوْتُ ، وَقَدْ دَعَوْتُ ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي ، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدّعَاءَ [217] .

وقد جمع هذا الحديث بين مانعين من موانع الدعاء :

الأول : الدعاء بالإثم .

والثاني : الاستعجال .

وأخرج البخاري ومسلم عن أَبَي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قال : قال رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم : يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ ، فَيَقُولُ : قَدْ دَعَوْتُ رَبّي فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي [218] .

وفي خبر موسى صلى الله عليه وسلم [219] أنه دعا ربَّه فقال : (رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ) [يونس: 88]

---

[216] - رواه مسلم . كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (4/2088) .

[217] - رواه مسلم . كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (4/2096) .

[218] - رواه البخاري . كتاب الدعوات . باب يستجاب للعبد ما لم يعجل (7/153) ومسلم . كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (4/2095) .

[219] - إذا ذُكِر الأنبياء فنُشرع الصلاة عليهم دون الاقتصار على السلام فحسب ، لقوله – عليه الصلاة والسلام – : صلوا على أنبياء الله ورسله ، فإن الله بعثهم كما بعثني . رواه البيهقي في شعب الإيمان ، وأورده الألباني في صحيح الجامع (برقم 3781) ويشهد له ما ثبت في الصلاة الإبراهيمية .

فكان الجواب من ربّ الأرباب : (قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ)[يونس: 89] .

روي عن أبي جعفر محمد بن علي وعن الضحاك أنهما قالا – في قوله تعالى : (قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا) [يونس:89] - : كان بينهما أربعون سنة . وقال ابن جريج : يُقال إن فرعون ملك بعد هذه الآية أربعين سنة . قال مرزوق العجلي : دعوت ربي في حاجة عشرين سنة فلم يقضها لي ، ولم أيأس منها [220] .

أي أن دعاء موسى صلى الله عليه وسلم لم يُستجب إلا بعد أربعين سنة .

ولا بد أن يُعلم أن من وُفِّق للدعاء فقد وُفِّق لخير كثير ، وليست الإجابة الفورية من شرط الدعاء ، لأن من دعا فهو أمام أحدِ ثلاثةِ أمور :

1 - إما أن تُجاب دعوته مباشرة .
2 - وإما أن يُصرف عنه من البلاء مثلما سأل .
3 - وإما أن تُدّخر له في الآخرة أحوج ما يكون إلى الحسنات .

لحديث أبي سعيدٍ الخدري أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن تعجل له دعوته ، وإما أن يدّخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها . قالوا : إذاً نكثر ؟ قال : الله أكثر [221] .

وكان عمرُ – رضي الله عنه – يقول : إنّي لا أحمل همَّ الإجابة ولكن همَّ الدعاء ، فإذا أُلهمتُ الدعاء فإن الإجابة معه .

قال ابن الجوزي – رحمه الله – :

إذا وقعتَ في محنة يصعب الخلاص منها ، فليس لك إلا الدعاء واللجأ إلى الله بعد أن تُقدّم التوبة من

---

[220] - التمهيد لابن عبد البر (10/301) . وانظر – غير مأمور – تفسير الجلالين (ص 280) .

[221] - حديث صحيح : رواه الإمام أحمد (3/18) والبخاري في الأدب المفرد (ص 264 صحيح الأدب) وعبد بن حميد (292) وابن أبي شيبة (6/22) والحاكم (1/670) وصححه ، ووافقه الذهبي . ورواه أبو نعيم في الحلية (6/311)

الذنوب ، فـإن الزلـل يُـوجب العقوبـة ، فـإذا زال الزلـل بالتوبة من الذنوب ارتفع السـبب ، فـإذا تُبـتَ ودعـوتَ ، ولم ترَ للإجابة أثراً فتفقّد أمرك ، فربما كانت التوبة مـا صحّت فصححها ، ثم ادعُ ، ولا تملَّ مـن الـدعاء ، فربمـا كـانت المصـلحة فـي تـأخير الإجابـة ، وربــما لـم تكـن المصلحة في الإجـابة ، فأنت تُثاب وتُجاب إلى منافعـك ، ومن منافعك أن لا تُعطى مـا طلبـت بـل تُعـوّض غيـره ، فإذا جاء إبليس فقال : كم تدعوه ولا ترى إجابـة ، فقـل : أنا أتعبّد بالدعاء ، وأنا موقن أن الجـواب حاصـل ، غيـر أنه ربما كان تأخيره لبعض المصالح فهو يجيء في وقت مناسب ، ولو لم يحصل حصل التعبد والتذلل [222] .

وقال – رحمه الله – : من العَجَـب إلحاحـك فـي طلـب أغراضك ، وكلما زاد تعويقهـا زاد إلحاحك ، وتنسى أنـها قد تُمنع لأحد أمرين :

إما لمصلحتك ، فربما مُعجَّلٌ أذى .

وإما لذنوبك ، فإن صاحب الذّنوب بعيد من الإجابة .

فَتَظَّف طُرق الإجابة مـن أوسـاخ المعاصـي ، وانظــر فيما تطلبه هـل هــو لإصـلاح دينـك ، أو لمجـرّد هـواك ؟ فإن كان للهـوى المجـرّد ، فـاعلم أن مـن اللطـف بـك ، والرحمة لك تعويقه ، وأنت في إلحاحـك بمثابـة الطفـل يطلب ما يؤذيه فيُمنع رفقاً بـه ، وإن كـان لصـلاح دينـك فربما كانت المصلحة تأخيره ، أو كان صلاح الدين بِعَدَمِه . وفي الجملة فتـدبير الحـق – عـز وجـل – لـك خيـرٌ مـن تدبيرك ، وقد يمنعك ما تـهوى ابتلاء ليبلوا صبرك ، فَأَرِهِ الصبر الجميل ترى عن قربٍ ما يَسُرّ [223] .

وقال ابن رجـب : فـإن المـؤمن إذا اسـتبطأ الفَـرَج ، وأيس منه بعد كثرة دعائه وتضرعه ولم يظهـر عليـه أثـر الإجابة ، رجع إلى نفسه باللائمة ، وقال لها : إنما أتيــت من قبلك ، ولو كان فيك خير لأُجِبتِ ، وهـذا اللـوم أحـب إلى الله من كثير مـن الطاعــات ، فـإنه يـوجب انكسـار العبد لمولاه ، واعترافه له بأنه أهل لما نـزل من البلاء ، وأنه ليس أهلا لإجابة الدعاء ، فلـذلك تسـرع إليـه حينئـذ

---

[222] - انظر – غير مأمور – صيد الخاطر (ص 305) .

[223] - المرجع السابق (ص 179) .

إجابة الدعاء ، وتفريج الكرب ، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبـهم من أجله . قال وهب : تعبد رجل زمانا ثـم بَـدَتْ لـه إلى الله حاجة ، فقـام سـبعين سـبتا يأكـل فـي كـل سبت إحـدى عشـرة تمـرة ، ثـم سـأل اللـه حـاجته فلـم يُعطها ، فرجع إلى نفسه ، فقال : منك أتيـت ، لـو كـان فيك خيراً أعطيت حاجتك ، فنـزل إليـه عنـد ذلـك ملـك ، فقال لـه : يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك الـتي مضت ، وقد قضى الله حاجتـك . خرجـه ابـن أبـي الـدنيا . [224]

ثالثاً : ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر صمام أمان للفرد والجماعة ، ومِن ذلك أن تركه سبب لعدم إجابة الدعاء .

فعن حُذَيْفَةَ بنِ الْيَمانِ – رضي الله عنهما – عن النبيّ صلى الله عليه وعلـى آلـه وسـلم قـال : وَالّـذِي نَفْسِـي بِيَـدِهِ لَتَأمُـرُنّ بالمَعْـرُوفِ وَلَتَنْهَـوُنّ عَـنِ المُنْكَـرِ ، أو لَيُوشِكَنّ الله أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْـهُ ثُـمَ تَـدْعُونَهُ فَلا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ [225] **.**

وعن عائشة رضي الله عنهـا قـالت : سـمعت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وعلـى آلـه وسـلم يقـول : مـروا بـالمعروف وانـهوا عـن المنكـر قبـل أن تـدعوا فلا يُستجاب لكم [226] **.**

وينبغي أن يُعلم إلى أن ترك الأمر بالمعروف والنهـي عن المنكر لا يُسوّغ ترك الدعاء .

كما أن ترك الأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر لا يكـون إلا بـترك الإنكـار بمراتبـه الثلاث ؛ الإنكـار باليـد واللسان والقلب .

ومَن أنكر بالقلب فإنه لم يترك الإنكار .

---

[224] **- جامع العلوم والحكم (1/480) .**
ومما ينبغي أن يُعلم أن المسلم ليس مُتعبّد بأكل إحدى عشرة تمرة كل سَبْت ، بل الذي جاءت به السنة أن يتصبّح كل يوم بسبع تمرات إما مِن عجـوة المدينة ، وإما مما بين لابتيها .

[225] **-** حديث حسن : **رواه أحمد (5/388) والترمذي (4/468) وقال : حديث حسن ، وابن أبي شيبة (7/460) .**

[226] **-** حديث حسن : **رواه أحمد (6/159) وابن ماجه (4/359) وابن حبان (1/526 إحسان) .**

ومَن ترك الدعاء بترك الإنكار فقد جمع إلى الخطأ خطأ آخر ،وإلى الذنب ذنباً آخر .

رابعاً : ارتكاب الذنوب والمعاصي

الذّنوب تسدّ طُرق الإجابة ، وتُبعد عن علاّم الغيوب .

قال سبحانه موبِّخاً الكفار : (وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاّ فِي ضَلالٍ) [غافر : 49 ، 50] .

إن المعاصي والذنوب مما يُقسّي القلوب ، وإن أبعدَ شيءٍ من الله القلب القاسي .

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله ، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب ، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي [227] .

ولذلك بوّب البخاري – رحمه الله – في أوائل كتاب الدعوات من الصحيح باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة ، باب التوبة ...

قال الحافظ ابن حجر : أشار المصنف بإيراد هذين البابين - وهما الاستغفار ثم التوبة - في أوائل كتاب الدعاء إلى أن الإجابة تُسرع إلى من لم يكن متلبساًبالمعصية ، فإذا قدّم التوبة والاستغفار قَبْلَ الدعاء كان أمكن لإجابته [228]

قال يحيى بن معاذ الرازي : لا تستبطئن الإجابة إذا دعوت ، وقد سَدَدْتَ طرقها بالذنوب [229]

---

[227] - حديث حسن : **رواه الترمذي (4/607) والبيهقي في شعب الإيمان (4/245)**

ورواه الإمام مالك (2/986) بلاغاً أن عيسى ابن مريم كان يقول : - فَذَكَرَه - ، ومن طريقه رواه ابن المبارك في الزهد (44) ، ورواه ابن أبي شيبة (6/340) عن محمد بن يعقوب قال : قال عيسى ابن مريم - فَذَكَرَه - ومن طريقه رواه أحمد في الزهد (40)

[228] - **فتح الباري بشرح صحيح البخاري (11/104 – 106) .**

[229] - **رواه البيهقي في شعب الإيمان (2/54) .**

قال ابن القيم : يا مُستَفْتِحاً باب المعاش بغير إقليد التقوى ، كيف توسع طريقَ الخطايا وتشكو ضيقَ الرزق ، ولو وَقَفْتَ عند مرادِ التقوى لم يَفُتْكَ مُراد [230] .

خامساً : الاعتداء في الدعاء

وقد تقدّم معنا أن الاعتداء في الدعاء نوع عبثٍ لا يليق بالقُربات ، وقد ينصرف القلب عن الدعاء واستحضار المطلوب إلى تلك الاعتداءات التي تضر ولا تنفع .

فمن أراد إجابة دعائه فليجتنب الاعتداء في الدعاء [231] .

سادساً : غفلةُ القلب

سبق إيراد قوله صلى الله عليه وسلم : إن الله لا يستجيب دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ [232] .

قال ابن القيم – بعد كلام عن الرُّقية ونفعها – : وكذلك الدعاء ، فإنه من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب ، ولكن قد يتخلف عنه أثره ، إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان ، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيّتِه عليه وقت الدعاء ، فيكون بمنزلة القوس الرَّخْوِ جداً ، فإن السهم يخرج منه خروجا ضعيفا ، وإما لحصول المانع من الإجابة ؛ من أكل الحرام ، والظلم ، ورَيْنِ الذنوب على القلوب ، واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وغَلَبَتِها عليها [233] .

---

[230] **- الفوائد (ص 77) . ومعنى (إقليد) أي مفتاح .**

[231] **- انظر – غير مأمور – (ص 29 - 33) من هذا البحث**

[232] **- تقدم تخريجه (ص 24) .**

[233] **- الجواب الكافي (الداء والدواء) ص (9) .**

سابعاً : ثلاثة أصناف لا يُستجاب لهم

عـن أبـي موسـى الأشـعري – رضـي اللـه عنـه – عـن النـبي صـلى اللـه عليـه وعلـى آلـه وسـلم قـال : ثلاثـة يَدْعُون الله فلا يستجاب لهـم : رجـل كـانت تحتـه امـرأةٌ سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل كان له على رجل مـال فلم يُشهد عليه ، ورجل آتى سفيهاً ماله ، وقد قال الله – عز وجل – : (وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْـوَالَكُمُ) [النسـاء : 5] [234] .

وعدم اسـتجابة دعـاء هـؤلاء إنمـا هـو فـي خصـومهم المذكورين في الحديث .

قال المُناوي : رجـل كـانت تحتـه امـرأةٌ سـيئة الخلـق فلـم يطلقهـا ، فـإذا دعـا عليهـا لا يسـتجيب لـه ؛ لأنـه المعذب نفسه بمعاشرتـها ، وهو في سعة من فراقهـا ، ورجل كان له على رجل مال فلم يشـهد عليـه فـأنكره ، فإذا دعـا لا يُسـتجاب لـه ؛ لأنـه المفـرط المقصِّـر بعـدم امتثال قوله تعالى : (وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَـالِكُمْ) [البقرة:282] ، ورجل آتى سفيهـاً - أي محجوراً عليه بِسَفَـهٍ - ماله ، أي شيئا من ماله ، مع علمه بالحجر عليه ، فإذا دعا عليه لا يستجاب لـه ؛ لأنـه المضـيع لِمالِــه فلا عُـذر لـه [235] .

---

[234] - رواه الحاكم (2/331) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه لتوقيف أصحاب شعبة هذا الحديث على أبي موسى ورواه البيهقي (10/146) وابن أبي شيبة (3/559) موقوفاً على أبي موسى ، وأورده الألباني في السلسة الصحيحة برقم (1805) وفاته طريق ابن أبي شيبة وطريق البيهقي .

[235] - فيض القدير (3/336) .

سابعاً : نماذج من دعوات الصالحين

لم أقصد حصر الدعوات المُستجابة ، وإنما أردت حفز الهِمم إلى الدعاء ، خاصة إذا علموا أن من عباد الله الصالحين قد أُجيبت دعواتهم ، وهم ليسوا بأنبياء ولا معصومين ، ولا بالوحي مؤيدين.

وفي الكتاب العزيز والقرآن المجيد نماذج من دعوات الأنبياء والمرسلين ، وقد تقدّم غير أنموذج من دعوات نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ودعوة ذي النون ، ودعوة نبي الله موسى صلى الله عليه وسلم .

وإليك بعض النماذج والأمثلة لدعوات الصالحين :

دعوةُ سعيدِ بنِ زيد - أحد العشرة المبشرين بالجنة - على أروى بنت أويس

عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ ادّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَنّهُ أَخَذَ شَيْئاً مِنْ أَرْضِهَا ، فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، فَقَال سَعِيدٌ : أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئاً بَعْدَ الّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؟ قال : وما سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؟ قَال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَقُولُ : مَنْ أَخَذَ شِبْراً مِنَ الأَرْضِ ظُلْماً طَوّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرضِينَ . فَقَال لَهُ مَرْوَانُ : لاَ أَسْأَلُكَ بَيّنَةً بَعْدَ هَذَا ، فَقَال : اللّهُمّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمّ بَصَرَهَا ، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا . قَال : فَمَا مَاتَتْ حَتّى ذَهَبَ بَصَرُهَا ثُمّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ .

وفي رواية : قال : فرأيتها عمياء تلتمس الجدر ، تقول : أصابتني دعوة سعيد بن زيد فبينما هي تمشي في الدار مرّت على بئر في الدار ، فوقعت فيها فكانت قبرها [236] .

دعوةُ سعد بن أبي وقاص - أحد العشرة المبشرين بالجنة - على أسامة بن قتادة :

---

[236] - **رواه البخاري – مختَصَراً – كتاب المظالم . باب إثم من ظلم شيئا من الأرض (3/100) ، ورواه مسلم بطوله . كتاب المساقاة (4/1231)**

عن عبدُ الملكِ بنُ عُميرٍ عن جابرِ بنِ سَمُرةَ قال : شَكا أهلُ الكوفةِ سَعدَ بن أبي وقاص إلى عمرَ – رضي الله عنه – فعزَلَهُ واستعملَ عليهم عَمّاراً ، فشَكَوا حتى ذَكروا أنّهُ لا يُحسِنُ يُصلّي ، فأرسلَ إليه فقال : يا أبا إسحاق ! إنّ هَؤلاء يَزعُمونَ أنّكَ لا تُحسِنُ تُصلّي ! قال أبو إسحاقَ : أمّا أنا واللهِ فإني كنتُ أُصلي بهم صلاةَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما أُخرِمُ عنها ، أُصلّي صلاةَ العِشاءِ فأركُدُ في الأُولَيَيْنِ وَأُخِفّ في الأخرَيَينِ . قال : ذاكَ الظنّ بكَ يا أبا إسحاقَ ، فأرسلَ معه رجُلاً – أو رجالاً – إلى الكوفةِ فسألَ عنه أهلَ الكوفةِ ، ولم يَدَعْ مسجداً إلاّ سألَ عنه ، وَيُثنونَ مَعروفاً ، حتى دخلَ مسجداً لِبني عبسٍ ، فقامَ رجلٌ منهم يُقالُ له : أُسامةُ بنُ قَتادةَ ، يُكْنىَ أبَا سَعدةَ قال : أمّا إذ نَشَدْتَنا فإنّ سَعداً كان لا يَسيرُ بالسرِيّةِ ، ولا يَقسِمُ بالسّوِيّةِ ، ولا يَعدِلُ في القَضيّة .

قال سعدٌ : أما وَاللهِ لأدْعوَنّ بثَلاثٍ : اللّهمّ إن كان عبدُكَ هذا كاذباً قامَ رِياءً وَسُمعةً ، فأطِلْ عمرَهُ ، وَأطِلْ فَقرَهُ ، وَعَرّضْهُ بالفِتَنِ ، وكان بَعدُ إذا سُئلَ يقول: شَيخٌ كبيرٌ مَفتون أصابَتْني دَعوةُ سعد . قال عبدُ الملكِ - أي ابن عمير- : فأنا رأيتُه بعدُ قد سَقطَ حاجِباهُ عَلَى عَينيهِ منَ الكِبَرِ ، وإنه ليَتعرّضُ للجواري في الطّرقِ يغمزهُنّ .[237]

وفي رواية : فما مات حتى عميَ ، فكان يلتمس الجدران ، وافتقر حتى سأل ، وأدرك فتنة المختار فقُتِلَ فيها .

دعوةُ سعد بن أبي وقاص أيضا على من كان يسُبّ الصحابة :

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال : أقبل سعدٌ من أرضٍ له ، فإذا الناس عكوفٌ على رجل ، فاطّلع فإذا هو يسبُّ طلحة والزبير وعلياً ، فنهاه ، فكأنما زاده إغراءً ، فقال : فقال : ويلك ! تريدُ أن تسبَّ أقواماً هم خيرٌ منك ؟ لتنتهينّ أو لأدعونّ عليك . فقال :كأنما

---

[237] **- رواه البخاري . كتاب الأذان . باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت (1/183 ، 184) ورواه مسلم – مختصرا دون ذِكر القصة – (1/334 ، 335) والرواية التي تليها رواها اللالكائي في كرامات الأولياء (مج 5/ جـ 9/ 137) .**

تخوفُني نبيّ من الأنبياء ! فانطلق فـدخل داراً فتوضـأ ، ودخل المسجد ثم قال : اللهم إن كان هذا سـبّ أقوامـاً قـد سـبقت لهـم منـك حسـنى ، أسـخطك سـبُه إيـاهم ، فأرني اليـوم آيـةً تكـونُ للمـؤمنين آيـةً . قـال : وتخـرج بُختيةٌ من دار بني فلان لا يردُها شيء حتى تنتهي إليه ، ويتفـرّقَ النـاسُ ، وتجعلَـه بيـن قوائمهـا وتطــأه حـتى طفـي ، قال : فأنا رأيت سعـداً يتبعـه النـاس يقولـون : استجـاب الله لك يا أبا إسحـاق [مرتين] [238] .

قال الذهبي : في هذا كرامة مشـتركة بيـن الـداعي ، والذين نِيلَ منهم [239] .

دعوته – رضي الله عنه – يوم القادسية على من عرّض به :

عن قَبيصـة بـن جـابر قـال : قـال ابـن عــمّ لنـا يـوم القادسية :

ألم تر أن الله أنـزل نصـره وسعدٌ بباب القادسيـة معصَمُ

فأبنا وقد آمت نساءٌ كثيرةٌ ونسوةُ سعد ليس فيهن أيّـمُ

فلما بلغ سعداً . قال : اللهم اقطع عنّي لسانه ويده ، فجاءت نُشّابَةٌ أصابت فاه فخرس ، ثم قُطعـت يـدُه فـي القتال ، وكان في جسد سعد قروح فأخبر الناس بعـذره عن شهود القتال ، فعذروه ، وكان سعد لا يجبن ، وقـال : إنما فعلت هذا لما بلغني من قولكم [240] .

دعوةُ المحاميد :

روى الخطيب البغدادي عن أبي العباس البكري قال : جمعـت الرحلـة [241] بيـن محمـد بـن جريـر ، ومحمـد بـن

---

[238] **- رواه الطبراني في الكبير (1/140) وقال الهيثمي في المجمع (9/154) : رواه الطبراني ورجـاله رجـال الصحيح ، ورواه ابن أبي شيبة (6/375) مختصراً .**

[239] **- سير أعلام النبلاء (1/117) .**

[240] **- رواه الطبراني في الكبير (1/141) ، وقال الهيثمي (9/154) : رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات .**

[241] **- يعني الرحلة في طلب الحديث . فانظر – رحمك الله – إلى معاناة السلف وتكبدهم المشاق والجوع والفقر والفاقة في سبيل تحصيل العلم . من أجل ذلك رفع الله ذِكرهم في العالمين ، وبقيت علومهم يُنتفع بها**

إسحاق بن خزيمة ، ومحمد بن نصر المروزي ، ومحمد بن هارون الروياني بمصر ، فأرملوا ولم يبق عندهم ما يقوتهم ، وأضرّ بهم الجوع ، فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه ، فاتفق رأيهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة ، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام ، فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق بن خزيمة ، فقال لأصحابه : أمهلوني حتى أتوضأ ، وأصلي صلاة الخِيَرَة ، قال فاندفع في الصلاة ، فإذا هم بالشموع ، وخصيٌ من قبل والي مصر يدق الباب ، ففتحوا الباب فنزل عن دابته ، فقال : أيكم محمد بن نصر ؟ فقيل : هو هذا . فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعها إليه ، ثم قال : أيكم محمد بن جرير ؟ فقالوا : هو ذا . فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعها إليه ، ثم قال : أيكم محمد بن هارون ؟ فقالوا : هو ذا . فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعها إليه ، ثم قال : أيكم محمد بن إسحاق بن خزيمة ؟ فقال : هو ذا يُصلي ، فلما فرغ دفع إليه الصرة ، وفيها خمسون دينارا ، ثم قال : إن الأمير كان قائلا بالأمس ، فرأى في المنام خيالاً قال : إن المحامد طووا كشحهم جياعا ، فأنفَذَ إليكم هذه الصِّرار ، وأقسم عليكم إذا نفدت فابعثوا إلي أمدَّكم [242] **.**

فهذه نماذج لدعوات من صدقوا مع الله فصدقهم الله .

أخـــيراً :

بعد هذا المشوار مع الدعاء وآدابه وموانعه والدعاء المستجاب ، هلاّ ساءلت نفسك :كم مرة انطرحت بين يدي الله ؟

وكم مرة أحسستَ فيها بصدق المناجاة ؟

أليس لك حاجة بل حاجات إلى رب الأرض والسماوات ؟

على مرّ السنين .

[242] **- تاريخ بغداد (2/165) . وهؤلاء العلماء الفضلاء هم : محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ ، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة صاحب الصحيح ، ومحمد بن نصر المروزي صاحب كتاب تعظيم قدر الصلاة ، وكتاب قيام الليل ، ومحمد بن هارون الروياني صاحب المسند .**

ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أعجز الناس من عجز عن الدعاء [243] .

أعجَزتَ أن تنفع نفسك بدعوة صـالحة ؟ عـلّ اللـه أن ينفعك بـها .

مُـنـاجــاة [244]

مالي وقد فرّطتُ في أمـري سوى ربٍّ إلى نفحـاتـه أتعــرّضُ
ما كان من عذرٍ لتقصيري سوى نفسٍ تُقادُ إلى الجنان فتُعـرِضُ
مالي سواك إذ الخطوب تفاقمت أمري إليك على الدوامِ مُفَوَّضُ
يا خيرَ من أعطى وأكرمَ من عفا وإذا دعاه مذنبٌ لا يُعــرِضُ
عبـدٌ بضاعتَه الكلامُ ، جهـادُه صحفٌ تُسطّرُ أو قريض يُقرض
يدعو الورى للصالحات وسِفْـره في صالح الأعمـال خِلْوٌ أبيض
ويُحبُّ درب الصالحين وإن أكن قصّرتُ فيما طوّلـوه وعرّضـوا
لكن له قلبٌ يُحبُّـك كـلَّـه وقلوبُ أهلِ الحـب لا تتبعّضُ
أنت الذي أكرمتني منذ الصـبا ورعيتني والخـير منك مُقيَّـضُ
وارزقني الإخلاص حتى لا أُرى إلا وكلّي في رضاك مُمَحَّـضُ
وأعيشُ يا ربي لدينك داعيـاً ما دام بي نَفَسٌ وعـرقٌ ينبِضُ

---

[243] - حديث حسن : رواه الطبراني في الأوسط (5/371) مرفوعاً . ورواه ابن حبان (10/350) والبيهقي في شعب الإيمان (6/429) موقوفاً على أبي هريرة – رضي الله عنه – .

[244] - من ديوان نفحات ولفحات للدكتور يوسف القرضاوي (ص 120 – 124) .

وسـبحانك اللهـم وبحمـدك ، أشـهد ألا إلـه إلا أنـت ، استغفرك ، وأتوب إليك . ربنا تقبّل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .